الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

رقم: .....

المقاومة الشعبية الجزائرية ضد التوسع الإسباني خلال القرن السادس عشر استنادا إلى أعمال مبارك الميلي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث 1519-1830 م

إعداد الطالبة: سلوى طيبي

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الأستاذ (ة)	المؤسسة الجامعية	الصفة
01	أ.د.عبد القادر خليفي	جامعة المسيلة	رئيسا
02	د.النذير قوادرية	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
03	د.جمال عطابي	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2024-2025م / 1445 – 1446 هـ

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي
وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي

شكر وتقدير

نستهل شكرنا للخالق الكريم الذي منَّ و أنعم علينا برحمة واسعة لا تعد ولا تحصى، والذي نتمنى أن يتقبل منا خلاصة جهدنا لوجهه الكريم.

عندما تبحث عن كلمات شكر وتقدير للآخرين، فإن أجمل عبارات الشكر والتقدير لا بد أن تسبق حروفنا وتنهي سطورنا معبرة عن صدق المعاني النابعة من قلوبنا

فأولا وقبل كل شيء نشكر والدي رحمهما الله تعالى الذين لولا مجهوداتهم وتضحياتهم لما وصلنا إلى ما نحن عليه الآن

كما نشكر أستاذنا المشرف الأستاذ الدكتور "النذير قوادرية" على ما قدمه لنا من توصيات وتوجيهات والمعلومات القيمة التي ساعدتنا لإتمام هذه الدراسة.

كما نتوجه بالشكر إلى كل من علمنا حرف أو جعل طلب العلم هدفنا في الحياة

الإهداء

إلى من أوصانا الله بهما وقال في كتابه العزيز **(وقَضَى رَبُّكَ أن لا تَعبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ وبالوَالدين إحسانا إمَّا يَبلُغَنَّ عِندَكَ الكبرَ أحدُهُمَا أو كلِاهُماَ فَلا تَقُل لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُماَ جَنَاحَ الذُّلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرَا)** سورة الإسراء الآية 23-24

إلى من غرس فينا حب العلم والتضحية .....أُمي و أبي رحمهما الله تعالى وجعلهما من ساكني الفردوس الأعلى.

سلوى طيبي

قائمة المختصرات:

تح: تحقيق

تر: ترجمة

ج: جزء

ط: طبعة

ص: صفحة

مج: مجلد

ع: العدد

تص: تصحيح

تع: تعريب

مقدمة

مقدمة

شهد" القرن العاشر هجري/السادس عشر" ميلادي تحولات وتطورات تمثلت في بروز قوة في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط والتي رفعت راية الجهاد الإسلامي وحماية الإسلام والمسلمين، حيث نفَّذت فتوحات واسعة في أوروبا الشرقية ومحاولة الحد من القرصنة الأوروبية بالبحر الأبيض المتوسط وامتد نشاطها حتى شمال إفريقيا، وجعلت من الجزائر نقطة انطلاق إستراتيجية لاستكمال فتوحاتها بالبحر الأبيض المتوسط وسارت قوة مهابة أثارت الخوف في دول أوروبا وهذا ما جعل إسبانيا تتوحد وبرعاية البابوية لإضفاء الصبغة الدينية لحروبها ضد الدولة العثمانية والمسلمين، واختارت الشمال الإفريقي كهدف لتوسعاتها مستغلة في ذلك حالة التفكك السياسي التي كانت تعيشها دول المغرب العربي آنذاك. إلا أن هاته المحاولات التوسعية لم تمر دون مقامة بل تصدَّت لها حركات شعبية مسلحة قادتها زعامات محلية وقبائل مجاهدة تعاونت مع القوة الصاعدة المتمثلة في القوة العثمانية لإفشال المشروع الإسباني في المنطقة.

وقد حاولت الدراسات الأجنبية تشويه الوجود العثماني بالجزائر وتجريده من محتواه الإيجابي، ومع بداية القرن العشرين شهدت الجزائر نهضة فكرية ساهمت في ظهور حركة تدوينية لتاريخ الجزائر قادها مؤرخون جزائريونبارزون في مجال التأريخ الجزائري، كان لهم السبق في حفظ هويتنا منهم مبارك الميلي الذي دافع بقلمه لمجابهة الاحتلال الفرنسي واستخدم نفس وسائله فألف لنا كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث الذي ساهم في غرس الروح الوطنية و أضاف رصيدا ثقافيا مهما للمكتبات التاريخية، فقد كان من رواد الإصلاح الذين ساهموا في إثراء المدرسة التاريخية الجزائرية والحفاظ على مقومات الوطن وتصدى للمشككين في تاريخ الجزائر.

الإطار الزماني والمكاني:

ينحصر المجال الزمني لهذه الدراسة خلال القرن السادس عشر الميلادي/ العاشر هجري ، أما مكانيا فقد حصرنا موضوع دراستنا في البحر الأبيض المتوسط بحوضيه الشرقي والغربي مرورا الأستانا والأندلس

دوافع اختيار الموضوع

أما الدوافع التي كانت وراء اختيارنا لهذا الموضوع فكانت بين الدوافع الذاتية والموضوعية منها:

_الرغبة في التعرف على تفاصيل هذه الفترة وتسليط الضوء على أهم أحداثها وتوسيع معارفنا المتعلقة بهذه الحقبة الزمنية .

_أن رواد الإصلاح الجزائري جديرون بالبحث والدراسة ومحاولة تسليط الضوء على إسهامات مبارك الميلي في الكتابة التاريخية.

_محاولة تقديم دراسة ملمة بالموضوع.

أهمية الموضوع:

_تكمن أهمية اختيار الموضوع في كون هذه الفترة عرفت تحولات هامة في تاريخ الدولة الجزائرية.

_محاولة إعطاء ولو صورة بسيطة عن الاحتلال الإسباني ومقاومته والتعرف على أبرز الشخصيات التي قادت المقامة ومدى إسهام مبارك الميلي من خلال كتابه تاريخ الجزائر الحديث.

_ معرفة مدى تأثير انضمام الجزائر للدولة العثمانية في تلك الفترة .

الإشكالية المطروحة:

لكل موضوع إشكالية فنطرح هاته الإشكالية لموضوعنا، وهي كيف صور مبارك الميلي في أعماله مختلف أشكال المقاومة الشعبية الجزائرية ضد التوسع الإسباني خلال القرن السادس عشر، وما مدى نجاعة هذه المقاومة في التصدي للمشروع الاستعماري الإسباني؟

ومن خلال الإشكالية العامة نطرح جملة من الأسئلة الفرعية:

_ كيف كانت الأوضاع السياسية والعسكرية في الجزائر قبل التوسع الإسباني؟

_ما هي أهم الحملات الإسبانية لاحتلال السواحل الجزائرية؟

_ما مدى مساهمة القبائل الجزائرية في مقاومة الغزو الإسباني؟

_كيف تمكن الإخوة بربروس من تحرير السواحل الجزائرية من السيطرة الإسبانية؟

_ما هو الدافع الذي جعل مبارك الميلي يكتب في التاريخ الوطني فيما تمثل منهجه وأسلوبه في الكتابة التاريخية؟

منهج الدراسة:

وللإجابة على التساؤلات المطروحة اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي والوصفي لاسترجاع الأحداث التاريخية المتعلقة بتلك الفترة ووصف بلاد المغرب قبل مجيء العثمانيين والشخصيات و سير المعارك، أما المنهج التحليلي يهدف إلى تتبع الحقائق التاريخية ودراسة المعطيات واستنتاج ما يمكن استنتاجه.

الدراسات السابقة:

توجد دراسات سابقة تتناول الاحتلال الإسباني لبلاد الجزائر خاصة بلاد والمغرب عموما وكذا مقاومته ، استفدنا منها في بعض النقاط الأساسية ، كما توجد بعض وجهات النظر حول كتابات مبارك الميلي ورؤيته التاريخية لهذه الفترة الزمنية ومن أبرز هذه الدراسات :

_دراسة نجيب دكاني حول الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن ال10 هـ/16م.

الخطة المعتمدة في الدراسة:

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على خطة تتضمن مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، حيث خصصنا الفصل الأول للحديث عن الإطار التاريخي والتوسع الإسباني في الجزائر تحدثنا فيه عن الوضع السياسي والعسكري في الجزائر قبل التوسع الإسباني والقوى المحلية وعلاقاتها بالعثمانيين والأوروبيون ، أهمية الساحل الجزائرية في التنافس الأوروبي والحملات الإسبانية واحتلال السواحل والاستراتيجيات الاحتلال الإسباني وتأثيرها على السكان، أما الفصل الثاني فتطرقنا إلى المقاومة الشعبية الجزائرية ضد الإسبان والتحالفات الدولية ودور الزوايا والعلماء في دعم المقاومة ومدى إسهام الإخوة بربروس في تحرير السواحل وتفاعل سكان الجزائر مع الدولة العثمانية.

والفصل الأخير الذي تحدثنا فيه عن رؤية مبارك الميلي للمقاومة الشعبية، منهجيته في الكتابة التاريخية ومدى موضوعيته ومقارنته برؤى مؤرخين آخرين معاصرين له، ومدى تأثير كتاباته في تشكيل الوعي التاريخي الجزائري.

وختمت الدراسة بخاتمة تناولت أبرز النتائج المتوصل إليها.

التعريف بأهم المصادر والمراجع:

اعتمدنا في دراستنا في هذا الموضوع على مجموعة من المصادر والمراجع، وقد ساهمت في معالجة موضوع الدراسة بشكل عام.

_كتاب بهجة الناظر في أخبار الناظرين تحت ولاية الإسبانيين من الأعراب كبني عامر لعبد القادر المشرفي، ويعتبر مصدرا أساسيا أطلعنا على العلاقة التي تجمع هذه القبائل مع الغزو الإسباني واستفدنا منه في الفصل الأول.

_ كتاب تاريخ الجزائر لمبارك الميلي ويعد من أبرز وأهم المؤلفات في مجال التأريخ للجزائر وهو على أجزاء، يغطي الجزء الثالث العهد العثماني والاحتلال الفرنسي، ويحلل أسباب الاحتلال ووسائله ومقاومة الجزائريين له.

_ كتاب تاريخ الجزائر لعبد الرحمان الجيلالي ويتناول فترة الحكم العثماني في الجزائر وكان مرجعا مهما اعتمدنا عليه في هذا البحث.

_كتاب وصف إفريقيا لمرمول كربخال كتاب مهم كتب في القرن السادس عشر يتحدث عن إفريقيا خاصة الشمال والمغرب الأقصى إلا أننا وجدناه يتميز بنوع من الذاتية في بعض تعابيره.

_ كتاب الجزائر و أوروبا1500_1830 لجون ب وولف تناول بشكل أساسي موضوع العلاقات بين الجزائر ودول الغرب المتوسط في العهد العثماني حيث تحدث عن الأوضاع الداخلية والخارجية للجزائر.

_كتاب الفتح العثماني للأقطار العربية نيقولاي إيفانون نقله للعربية يوسف عطاء الله، ويعد من الكتب المهمة التي تتناول الدخول العثماني للأقطار العربية.

_ كتاب الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا الشمالية لعزيز سامح ألتر، يتحدث عن التواجد العثماني في إفريقيا الشمالية وخاصة الجزائر و أحوالها السياسية وعلاقاتها الخارجية.

الصعوبات:

واجهنا خلال انجاز هذا البحث صعوبات أبرزها:

-صعوبة الوصول للأرشيفات المتعلقة بالموضوع .

-صعوبة الاستفادة من بعض المصادر والمراجع التي نراها هامة وتثري الموضوع لعدم توفرها الكترونيا وصعوبة التنقل لجلبها.

-عدم إتقان اللغات الأجنبية ما حال دون التعمق في الموضوع أكثر.

-صعوبة فرز المادة العلمية وترتيبها حسب التسلسل الزمني و المكاني.

-ضعف تدفق شبكة الانترنت.

الفصل الأول:الإطار التاريخي والتوسع الإسباني في الجزائر

يعتبر المغرب الأوسط إحدى المناطق الحيوية في المجال المتوسط، لما تمتلكه من موقع استراتيجي و سواحل واسعة، تطل على أهم طرق الملاحة البحرية، ما جعلها محل أطماع الدول الأجنبية خاصة مع بداية القرن السادس عشر. وقد شهدت هذه الفترة تناحُر القوى المحلية وتنازُعها، ما ولد فراغا سياسيا استغلته القوى الأوروبية لتوسيع نفوذها بالمنطقة وجعلها تتنافس،وذلك لأجل إيجاد موطأ قدم لها. كما تزعمت اسبانيا والبرتغال هذا التنافس الذي تحول بدوره لأهداف رئيسية ضد النزعة الصليبية داخل أوروبا الكاثوليكية، وهذا ما جسدته الحملات العسكرية الاسبانية التي استهدفت السواحل الجزائرية و أسفرت عن سقوط الموانئ الهامة كالمرسى الكبير وهران و بجاية، إذ جاء هذا التوسع بدعم القوى الأوروبية عامة والكنيسة خاصة للحد من النفوذ في المشرق.

المبحث الأول: الوضع السياسي و العسكري في الجزائر قبل التوسع الإسباني:

المطلب01: حال المغرب الأوسط قبل القرن 16 م

كانت بلاد المغرب الأوسط في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلاديين تعيش انقساما سياسيا خاصة بعد سقوط الدولة الموحدية،فنجد الدولة المرينية[1] بالمغرب الأقصى، والدولة الحفصية[2] بالمغرب الأدنى والدولة الزيانية[3] بالمغرب الأوسط و عرفت بدولة بنو عبد الواد، ولم تعرف الاستقرار إلا في فترة قصيرة من تاريخها[4]، هذه الصراعات التي واجهتها هذه الدول فيما بينها أدت إلى ضعفهم وان بلاد المغرب لا تحتمل أكثر من دولة واحدة[5].

1_الدولة المرينية نسبة إلى بنو مرين، يعود أصلهم إلى قبيلة زمناتة وكانوا يسكنون المنطقة الجنوبية من تلمسان وينتشرون في صحراء فقيق و الأغواط ومن فروعهم بنو عبد الحق و بنو وطاس، وقد وقف بنو مرين إلى جانب الموحدين وحكموا باسمهم، و لما ضعفوا انقضوا عليها، وبعد سقوط الموحدين برزت إمارة بنو مرين ينظر:يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر_ الجزائر القديمة و الوسيطة والحديثة، ، ديوان المطبوعات الجامعية، ج01 الجزائر ،2009 ،ص206

[2]الدولة الحفصية (1229_1273)ينتمون إلى قبيلة هنتا إحدى فروع مصمودة ومؤسسها هو أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاهي، ظهرت في الوقت الذي زالت فيه الدولة الموحدية واستقلت بتونس ينظر : يحيى بوعزيز، المرجع نفسه ، ص201

[3]الدولة الزيانية أو بنو زيان بنو عبد الواد و يرجع أصلهم إلى إحدى القبائل أو الجماعات العربية ذات الأصول الأمازيغية التي بسطت نفوذها في المغرب الإسلامي في الفترة الممتدة بين (1235_1554) و اتخذوا تلمسان عاصمة لهم ينسبون إلى احد فروع قبيلة زناتة البربرية، ويمتد موطنهم من تاهرت شرقا إلى نهر ملوية غربا ينظر: ضحى قرعاني و أمينة مطلق، التعليم في المغرب الإسلامي و دوره في ازدهار الحياة الثقافية في الدولة الزيانية خلال القرن ال14و ال15 ميلادي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط ، جامعة غرداية ،2022 ،ص07

[4]محمد دراج، الدخول العثماني للجزائر ودور الإخوة بربروس1512_1543 ،ت ص ناصر الدين سعيدوني ، شركة الأصالة للنشر والتوزيع،ط1، الجزائر ،2011،ص84

[5]الميلي محمد مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تحقيق محمد الميلي، ج02، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص412

كما يصف عمار بوحوش بلاد المغرب "أنها عبارة عن فسيفساء سياسية[1] تنقسم من لإمارات وقبائل وقد قامت نوعا من الجمهوريات في الموانئ كبداية لممارسة النشاط البحري[2] وكانت تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، أسواقها مكتظة بالبضائع ومساجدها عامرة وقصورها عجيبة حتى صارت مقصدا للتجارة ودارا للعلم، فجلب موقعها الممتاز وخيراتها حسد الحاسدين وطمع الغزاة[3].

واتخذ الزيانيون من تلمسان عاصمة لدولتهم التي عمرت قرابة ثلاثة قرون(1236_1550)بالرغم من الأعداء الذين كانوا يحيطون بها نظرا لموقعها الجغرافي الذي توسط المغرب العربي.[4] هذا الأخير الذي أدى إلى تهديد المريني والحفصي لها، فقد وجد ملوكهم في تلمسان الظروف الملائمة لزرع الفتن، واكتفوا في بعض الأحيان بتأييد الطامحين للحكم من أفراد العائلة الحاكمة فيدفعونهم للثورة[5].

ويذكر"عبد الحميد بن أشنهو" أن المغرب الأوسط كان يعيش حالة من الصراعات المتفاوتة والظلم[6] وتدخل الأعراب في الحكم وتطاحن القبائل، إلا أن هذا لا يعني أنه لم تقم

[1] عمار بوحوش،التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962 ، دار الغرب الإسلامي ،ط01، بيروت، 1997، ص50.

[2]شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تع محمد مزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر ، ط 02، ج 02، 1983، ص321_322.

[3]مولاي بالحميسي، مجلة الأصالة، نهاية دولة بني زيان، ، ع26 ،1975،جامعة الجزائر،الجزائر ،ص30

[4]ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، تقديم و تحقيق وتع هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية للنشر و التوزيع،ا، ط01، لقاهرة،2001،ص14_15.

[5]المهدي بو عدبلي ،أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، مجلة الأصالة، ع 8، الأصلي للشؤون الدينية ، الجزائر،1972، ص276.

[6] عبد الحميد بن زيان بن أبي أشنهو ،دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر،ص28_29

به دولة، بل كانت الجزائر من أقوى الدول في عهد غمنراسن الأول لأن هذا التطاحن شمل أيضا الدول الأوروبية[1]. فالعلاقات بين الدويلات الثلاث المرينية، الزيانية والحفصية كان يسودها الضريبة والتوجس و الطمع في التوسع على حساب الآخرين.[2] و شيدت الدولة الزيانية في أول الأمرالقلاع والحصون وجندتها للاستحواذ على منطقة قسنطينة وفعلا نجحت في ذلك، و إفتكتها من الحفصيين وفشلت في إخضاع بجاية، ووصلوا حتى مدينة تونس 730هـ_1334م، وتعاون الحفصيين والمرينيون ضد الدولة الزيانية نتج عنه السيطرة المرينية على تلمسان 1830،[3] واشتدت النزاعات الحفصيةالزيانية و الزيانيةالمرينية تارة أخرى، وذلك منذ بداية القرن السابع الهجري والقرن 10 الميلادي[4].

أما من الناحية الداخلية فنجد صراعات على السلطة والحكم [5]، وفرض ضرائب باهظة على الرعية وضعف السلاطين وفرض الضرائب هي العوامل التي أدت إلى ضعف الدولة الزيانية، واستغل الحفصيين بتونس الأوضاع التي أصابت الزيانيون وسيطروا على بجاية، قسنطينة وجزءا من الشرق. فأصبحت بلاد المغرب تعرف فوضى في شتى الأنحاء[6]

[1]عبد الحميد بن زيان بن أبي أشنهو ،المرجع السابق،ص28_29.

[2]محمد دراج، المرجع السابق ، ص 84

[3]بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني، (233 _962هـ/ 1235_1555م)،مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين،2002،ص128.

[4] أحمد الموساوي، الأمير الامازيغي أبو حموا موسى الثاني، مجلة الأثر للآداب واللغات، رحلة السلطان(رحلة شعر)، ع 07، 2008، جامعة قاصدي مرباح ورقلة،الجزائر، ، ص86.

[5]مختار حساني،تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية ، منشورات الحضارة ،ط01 ، ج 01،الجزائر 2009،ص50 _51

[6] أحمد توفيق المدني، مجلة الأصالة ،تلمسان بين الزيانيين والعثمانيون ، ع26 ،1975،ص39.

وثورات لا تعرف أولا ولا آخرا خاصة بتلمسان،[1]فأصبحت بلاد المغرب تعرف حروبا طاحنة، أصبحت ساحة للفوضى السياسية [2].

فدخلت الدولة الزيانية مرحلة الضعف حتى صارت فريسة سهلة للأسبان والأتراك فكانت الجزائر مسرحا للحروب وظهور إمارات ترفض الخضوع لأي سلطة مركزية[3].فشهدت السواحل المغاربية مع بدية القرن ال16 ميلادي هجرة مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة[4].آخر معقل من معاقل المسلمين بالأندلس[5] ليبدأ عهد المواجهات بين القوى الإسلامية والنصرانية، حيث وجهت اسبانيا نيران مداها إلى المغرب العربي عموما والجزائر خصوصا حيث جعلت من الأندلسيين الفارين إلى السواحل الجزائرية سببا لمهاجمتها[6]، وبضياع الأندلس توالت الأحداث والمعارك الضارية وارتفع الصليب الفضي فوق برج الطلائع في قصبة الحمراء ودقت أجراس الكنائس في سائر أوروبا[7].

---

[1]أحمد توفيق المدني، المرجع السابق،ص39.

[2]جون وولف، الجزائر و أوروبا1830_1500 ، تر تع أبو القاسم سعد الله ، دار المعرفة، ط خ ، الجزائر،2009، ص23

[3]صالح عباد،الجزائر خلال الحكم التركي 1514_1830، دار هوما، 2012،ص11.

[4]غرناطة تقع جغرافيا في جنوب شرق الجزيرة الإيبيرية وتنفتح حدودها الشرقية على البحر الأبيض المتوسط وتشمل شمالا منطقة المرية بينما تمتد جبوبا إلى غاية جبل طارق ويحدها غربا سفوح الجبل الأسود ومنطقة نهر الوادي الكبير ينظر : يوسف شكري فرحات:غرناطة في ظل بني الأحمر، دار الجيل، ط01، يروت، لبنان، 1993، ص09

[5]الأندلس كلمة ليست عربية اشتقها العرب من كلمة فاندوليسا والذي أخذ من قبائل الفاندال الجرمانية التي استقرت في المناطق الجنوبية في اسبانيا بعد هجرة طويلة من سواحل بحر الشمال وأعطت اسمها إلى تلك البقعة قبل أن يطرد القوط من هناك ينظر: شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة ،دمشق، سوريا، 1990،ص06

[6]محمد بن ميمون الجزائري ،التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تح محمد بن عبد الكريم،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1981 ، ص 108

[7]عادل سعيد بشناوي، الأمة الأندلسية الشهيدة،د ن د م د س،ص15

ويتحسر" أحمد المقري" لفقدان المسلمين لأراضيهم فيقول" والسلطان المذكور الذي أخذت على يده غرناطة وهو أبو عبد الله محمد، الذي انقرضت بدولته مملكة الإسلام بالأندلس ومحيت رسومها [1]. وصارت الأندلس كلها نصرانية فلم يبق منها فيها من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله جهرا إلا من يقولها في نفسه"" و أصبحت كلها نصرانية[2]واستقر معظم الأندلسيين المهاجرين بالسواحل بسبب تشابه بيئتهم و أراضيهم ومناخهم مع الجزائر، أي أنهم لم يحسوا باختلاف كبير[3].

وقد أبدى المسيحيون مخاوفهم من المسلمين المطرودين من الأندلس و إخوانهم المتواجدين في شمال إفريقيا من إعادة تعبئة قواتهم وتحرير الأندلس من جديد.وهو ما وضحه مبارك الميلي:(إن العرب و المسلمون لا يعتبرون خروجهم من الأندلس هزيمة نهائية، فقد أخفوا سلاحهم ومعظم رؤسائهم تظاهروا فقط بالانهزام في انتظار الفرصة المواتية لينقضوا من جديد على الأندلس ويشعلوا الحرب مرة أخرى ضد المسيحية، وأنه لابد من القضاء على أوكار القراصنة في الشمال الإفريقي.)[4].

[1]أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس ، مج الرابع، دار صادر ، بيروت، لبنان،1988،ص 528

[2] منصور درقاوي، الموروث الثقافي العثماني بين التأثير والتأثر بالجزائر مابين القرن 10_13 هجري 16_19 ميلادي مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة وهران، الجزائر،2014_2015 ،ص 24

[3]حنيفي هلايلي :دراسات و أبحاث في التاريخ الأندلسي الموريكسي،دار الهدى، الجزائر، 2010، ص12

[4]مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج02، المرجع السابق، ص 20

وكانت شبه الجزيرة الإبيرية[1] في القرن ال15 ميلادي، تتكون من عدة كيانات سياسية تمثلت مملكة قشتالة (Gastille) مملكة الأراغون ومملكة النافار ومملكة البرتغال ومملكة غرناطة بالجنوب ووجدت هذه الممالك صراعات كان القصد منها التوسع خارج حدود إقليمها،[2] للقيام بحروب الاسترداد التي استهدفت شمال إفريقيا لطمس عروبة الأهالي و تنصيرهم.[3]

ويقول ابن أبي الضيافي بعد سلسلة من حروب الاسترداد التي قادتها الممالك المسيحية الإسبانية ضد الوجود الإسلامي وحتى لسواحل شمال إفريقيا والتي تبعته حالة من التدهور والانهيار والضعف في أوضاع المغرب الإسلامي. فقد انتهت دولة الإسلام بالأندلس ولم تبق أي منطقة لم يمسها الغزو من أقصى السواحل الغربية في المحيط الأطلسي في المغرب الأقصى إلى السواحل التونسية[4]. لقد كانت إسبانيا أهم قوة أوروبية في العصر الحديث، وساعدها في ذلك الزواج السياسي وتكوين دولة مركزية موحدة، فأثر على

[1]شبه الجزيرة الإيبيرية: سميت بذلك نسبة لجدهم الإبر مجهول الأصل وسميت بالأندلس عندما كانت حاضرة للمسلمين خلال ثمانية قرون ،ثم عرفت بعد ذلك بإسبانيا للمزيد ينظر: محمد بن يوسف الزياني ، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تح ، المهدي بوعبدلي، الجزائر،د ت،ص138_137

[2]حنيفي هلايلي، دراسات و أبحاث ،المرجع السابق،ص115

[3]عبد المنعم الجميعي،الدولة العثمانية والمغرب العربي، دارالفكر،ط 01، القاهرة،1988،ص10

[4]بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان وأخبار تونس في عهد الأمان ، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، ط02 ، ج02، تونس، د ت، ص121

الوجود الإسلامي داخل شبه الجزيرة الأيبيرية وخارجها في منطقة المغرب الإسلامي،[1] وتوحدت مملكة قشتالة والأراغون باسم مملكة اسبانيا الكاثوليكية الموحدة[2].

وشكل هذا الإتحاد ضربة قوية للمسلمين بالأندلس وبلاد المغرب فأصبحوا في مواجهة مملكة متحدة قوية ومن جهة أخرى انقطاع العون بزوال دولة المرين بالمغرب الأقصى، والاستيلاء عليها من طرف بنو وطاس الذين لم تكن لهم القوة الكافية لمواجهة المسيحيين،[3] فبهذا الوقت كان نجم الدولة العثمانية في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي قد ظهر جليا في الأفق. واتسعت حدودها لتشمل كامل البلقان[4]والجنوب الغربي من أوروبا كما احتلت جزر بحر الأرخبيل[5]وبعد الفتح العثماني للقسطنطينية 1453 واتخاذها عاصمة للإمبراطورية العثمانية، وأصبحوا قوة ثابتة في شرق أوروبا التي كان من أهدافها إخضاع أوروبا من شرقها لجنوبها للإسلام وصولا إلى الأندلس لإنقاذ المسلمين فيها [6]. وبدأ ظهور العثمانيين في شمال إفريقيا في الوقت الذي اشتدت فيه الهجومات الإسبانية على سواحل

---

[1] نبيل عبد الحي رضوان،جهود العثمانيون لإنقاذ الأندلس و استرداده في مطلع العصر الحديث، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية(1407 هـ/1987م) ،ص 30

[2] Fernand Braudel .La méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe ,se édition, Amande ;colin ,paris ;1982 ,T2 ,P19

[3]أحمد العروسي المطوي:الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ،دار الغرب د م د ت ،ط 02،ص247

[4] تقع جزيرة البلقان في الجزء الجنوبي الشرقي لأوروبا يحدها من الشمال نهر الدانوب ومن الشرق البحر الأسود والمضايق وبحر إيجا ومن الجنوب البحر الأبيض المتوسط والبحر الادرياتيكي و البحر الأيوني ينظر:وسام عبد العزيز. البسنة والصرب وكرواتيا ، قراءة في التاريخ الباكر، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط01 ، مصر،1993 ،ص 09

[5]أحمد توفيق المدني، حرب الثلاث مئة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1492_1792، ش و ن ت ، ط 02، الجزائر، 1976،ص156

[6]عبد الحي رضوان، المرجع نفسه،ص20

المغرب الإسلامي، بعدما قويت عمليات القرصنة الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط حيث ارتبط هذا الوضع ببروز الإخوة بربروسة واتخذوا من الجزائر قاعدة لصد الاعتداءات الاسبانية والبرتغالية[1]،و إنقاذ مسلمي الأندلس ويرجع ذلك إلى تعدد رسائل الاستنجاد إلى السلاطين العثمانيين.

المطلب 02:القوى المحلية وعلاقتها بالعثمانيين والأوروبيين

شهدت الجزائر مطلع القرن ال16م مرحلة جديدة من التنافس الإقليمي و الدولي، تمثلت في الصراع بين القوى الأوروبية على رأسها إسبانيا والدولة العثمانية ذات الطموح التوسعي وبروز قوى جزائرية ممثلة في زعماء القبائل وأمراء المناطق الداخلي واختلفت تلك المواقف بين الولاء والعداء، من بين مواقف التحالف نجد تحالف بعض القبائل الجزائرية مع الإسبان بحكم قربها الجغرافي ولطبيعة أراضيها المنبسطة كقبائل وهران وتلمسان[2].منها "قبائل بني عامر[3] التي شاركت في الهجمات المنظمة من طرف الإسبان على المدينة وأحوارها، ومن أهم بطونها شافع[4]، أولاد علي[5]، قيزة[6] و أولاد عبد الله[7].

[1]مؤيد محمود محمد المشهداني، م م سلوان رشيد رمضان :أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518_1830،مجلة الدراسات التاريخية الحضارية ، مجلة علمية محكمة، م ج 15،ع 16، جامعة تكريت،2013 ،ص411

[2]عبد القادر فكاير: الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية،(1505_1792)،ص235،

[3]ينظر في نسبهم لكتاب،عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، لأبوا راس الناصر محمد بن أحمد،ص69

[4]شافع،من بطون بني عامر، وينسبون إلى جدهم شافع بن عامر بن زغبه الهلالي ،كان منهم جنود للإسبان في وهران، و بلغ عددهم حوالي 20 دوار ينظر:قدور جلال: جهود العالم عبد القادر المشرفي في الرد على القبائل المتعاملة مع الإسبان بوهران على ضوء مؤلفه بهجة الناظر،مجلة الباحث،ع01،مج13،ص352

[5]أولاد علي فرقة من بني عامر ينتسبون لجدهم بن يعقوب بن علي وعرفوا بقوتهم وتقديم العون للإسبان حيث شاركوا معهم في غزو قرية الكرت بنواحي معسكر ينظر: المرجع نفسه،ص353

وكان بطنا من بطونهم مجندين في الإسبان منهم الونازرة نسبة لونزار بن عبد الله بنن عامر الزغبي، تخرج من أولاد عبد الله نزر عبد اللاوي الذي تقلد منصب جنرال مع الإسبان[1].

وهذا ما يخص قبائل "بني عامر". كما لا يفوتنا ذكر" قبيلة كريشتل" التي تنسب إلى محمد بن راشد بن محمد المغراوي، يمتهنون زراعة الخضر والتجارة،وعملوا جواسيس الإسبان،أما قبيلة" حميان" فهم ينتسبون إلى جدهم حميان بن عقبة بن يزيد بن زغبه الهلالي، كانت لهم الرغبة في اعتناق الدين المسيحي قدموا الماء للإسبان في حروبهم مع بني جلدتهم[2]، وأشاروا عليهم ببناء برج مرجاجو لتحصين المدينة ضد الأهالي وأصبح يطلق على هذه القبائل المتعاونة مع الإسبان "المغطسون" [3].

حيث يقدمون الأخبار للأسبان ويبيعون لهم الأشخاص. ويذكر المشرفي صورا لتعاونهم ويقول: "ثم إن شافعا كان عددهم نحو العشرين دوارا، وكانوا أهل نخوة و بأس شديد وقتال عنيد و رأي وتدبير، فتقوى بهم الاسبانيون بغاية التمكن واشتدت شوكتهم على

---

[6]قيزة تنسب لجدها قيزة بن عامر بن إبراهيم وهي فرقة من بني عامر مسكنهم بنواحي تارقة ،ونسبة لهم سمي الجبل بجبل قيزة، ثم رحلوا لجنوب سبخة وهران ،المرجع نفسه، ص353

[7]أولاد عبد الله هم فرقة من بني عامر يرجع نسبهم إلى جدهم عبد الله بن سقير ،كانوا يسكنون بوادي الثلاثاء جنوب وهران، بلغ عددهم 60 دوار قدموا إعانات للأسبان ، المرجع نفسه،ص353

[1]هاشمي بن إبراهيم :قبائل وهران والاحتلال الإسباني قراءة في مواقف التحالف و الولاء ، أطروحة دكتوراه، قسم العلوم الإنسانية ، جامعة مصطفى اسطنبولي ،الجزائر ،2001،ص22

فاطمة درعي، القبائل المتعاونة مع الاحتلال الإسباني من خلال كتابات علماء معسكر، مجلة حقول معرفية، ع02 مج 02،، 2021، ص ص37_38[2]

[3]التغطيس يأتون بدوابهم الدواوير بصفة المتجولون البائعون للمواد للعطرية معهم مناطقة من الجلود فإن وجدوا خبرا جلبوه للنصارى وإن راو فرصة في الصغير أو الكبير أخذوه وجعلوا الجلود في فمه كي لا يتكلم فيبيعونه للإسبان, ينظر :قبايلي هواري، علاقات الإسبان لقبائل وهران بين الولاء والبراء،المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية ، ع 5،مج 3، جوان 2017،جامعة محمد اسطنبولي الجزائر،ص 350

المسلمين واعتدوا بهم وأغاروا على الأقربين والأبعدين وسبوا بهم من المؤمنين، وكانوا أشد إعانة للإسبان يقدمون لهم كل ما يحتاجونه من تبن وحشيش وحطب وسمن ولبن وعسل وبقر وخيل.."[1].

ولعل سبب خضوع وتحالف هذه القبائل مع الإسبان يعود لضعف إيمانها وطمعها في الثروات وعدم قدرتها على دفع الضرائب، وهذا لا يعني عدم وجود قبائل قاومت الإسبان بل هناك قبائل دافعت عن أرضها وعرضها وعانت من ويلات الإسبان وعاشت ما عاشته، كما يقول لنا أبو راس الناصر الذي يصف لنا قبيلة "بني شقران" التي عانت ويلات الاحتلال فيقول:" وعانت من ويلات الإسبان قبيلة شقران برمال عين الفرس الشرقية،وأهل الربط والكرت فأثخن فيهم إثخانا عظيما وسبا، وقتل وأسر وسبي الرجال والنساء" [2].

كما توجد قبائل أخرى نهضت ضد الإسبان مثل قبيلة"هبرا" وهم أولاد المقداد بن مهاجر بن سويد أعلنوا الحرب مع الإسبان، ومن أبرز معاركهم معركة "سيدي لخضر" ومعركة "يعلوا" الثانية، وحتى قبيلة "مجاهر" لم تدخل في حلف مع الإسبان وكانت مناطقهم مسرحا لعمليات غزو الإسبان وتشاركت حروبها مع الأتراك ضد الاحتلال الإسباني،[3] كما تحالف سكان جبل زاتما(جبل قربة نس) يسكنه"البربروالزواوا" المعروفون بشجاعتهم ويدينون بالطاعة للأتراك بالجزائر مع سكان جبل بني جير، وجبل بني عباس[4].

[1]عبد القادر المشرفي:المرجع السابق ص ص 13_14

[2]محمد بن أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تق تح المخطوط من طرف محمد غانم، ج01

[3]هاشم بن إبراهيم،قبائل وهران، المرجع السابق،ص28

[4]مربول كربخال، وصف إفريقيا، تر محمد حجي وآخرون، المعارف الجديدة ،ج1984،02،ص ص ص360_384_386

ومن الأسر بالشرق الجزائري الرافضة للوجود العثماني نجد أسرة "عبد المؤمن" وعرب أولاد صولى ما ساهمت في تأخير دخول العثمانيين إلى مدينة قسنطينة، كما ذكرت "جميلة معاشي" في كتابها الأسر الحاكمة، "فمثلما جاهرت أسرة عبد المؤمن بعدائها للعثمانيين جاهرت أسرة الفكون بولائها لهم وساعدتهم في إخماد الثورات التي نشبت ضد العثمانيين مثل ثورة أولاد صولي و ثورة أسرة عبد المؤمن[1]. ناهيك عن دعم قبائل المخزن وآل القاضي للعثمانيين فرجال المخزن هم رجال الإدارة والحكم من عسكريين وموظفين ومدنيين وأصحاب الامتيازات وكبار الملاكين.[2]

وكانوا ينظمون للأتراك لإجلاء القبائل الثائرة، وتقيم قبائل المخزن حول الأبراج والحصون التي كانت بها حاميات تركية[3]، أما"آل القاضي" فقد كانوا هم السبب الأول والمباشر في قدوم" خير الدين" و"عروج بربروس"فكانا خير حليفين، وعند إرسال خير الدين الوفد من أعيان الجزائر للسلطان العثماني يناشده بالانضمام تحت لواء الدولة العثمانية اختار خير الدين ابن القاضي ليكون على رأس الوفد مبعوثا للسلطان حاملا لرسالة أهل الجزائر[4] إلا أن هذه العلاقة تحولت من التحالف إلى العداء الذي كان سببه اتهام خير الدين لأمير كوكو بالتهاون في دعم أخيه عروج[5]، كما تحالف ابن القاضي بعد مقتل عروج مع السلطان الحفصي للقضاء على الحكم التركي[6].

---

[1] جميلة معاشي :الأسر المحلية في بايلك الشرق الجزائري من القرن ال10هـ_16م إلى القرن13هـ_19م،ديوان المطبوعات الجامعية،ص114_117

[2] مبارك بن محمد الهلالي الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث،مكتبة النهضة الجزائرية،ج 3، ص 229

[3] حنيفي هلايلي:بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني،ط1،دار الهدى ، الجزائر، 2007،ص 86

[4] عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في إفريقياالشمالية،تر محمود علي عامر، دار النهضة العربية، ص 72

[5] Boulifa le Djurdjura a travers l'histoire de pus l'antiquité jusqu'a 1830 ,organisation et indépendance des Zouaoua, édjbringo, Alger, 1925,p64

[6] يحيى بوعزيز :الموجز في تاريخ الجزائر القديمة و الوسيطة،ج 01،ص17

كما نشير إلى تحالف أمير تنس مع الإسبان الذي دعمه بقطع بحرية للنيل من المسلمين إلا أن عروج سار خلفه وأهدر دمه العلماء[1]، ولازالت الدسائس والمؤامرات ضد الأخوين"بربروسة"تحاك ضدهم، وفي أشد ساعات الجهاد حرجا، أمر بقتل"سالم التومي"حاكم الجزائر المتحالف مع الإسبان حاله حال سلطان تلمسان أبو حموا الذي قتل إسحاق في معركة تلمسان وسيطر على قلعة بني راشد و قتلوا "عروج وخيرالدين"وواجه"الأمير مسعود" أيضا[2].

فالنجاحات التي حققها البحارة العثمانيون في مواجهة خطر الصليب، ومساعدة الفقراء وخلق حركة تجارية في تونس والمنطقة أحدثت الرغبة بالانضمام للعثمانيين كما ذكر"محمد دراج" في ترجمته لمذكرات خير الدين فقال"(إن أهالي الجزائر يحبوننا ويعرفون جيدا النعمة التي يعيشونها منذ أن حللنا على بلدهم فقد استطعنا أن نوحد الأمارات والقبائل بهذا البلد الكبير، وازدهرت التجارة مرات كثيرة، وأمن المسلمون من ظلم الإسبان وصاروا أحرارا يسيرون مرفوعين الرؤوس، وكل ذلك أنهم تابعون لأكبر سلاطين الدنيا)[3].

فحل العثمانيون للسواحل الجزائرية استجابة لإغاثة أهالي الجزائرية خوفا من أن يؤول أمرها إلى ما آل إليه أمر الأندلس[4]، إلا أن بعض الإخفاقات المتمثلة في إهمال الجوانب الاجتماعية والثقافية تفاقمت الأزمات كالأمراض وتدهور الاقتصاد والتعليم، وسيطرة اليهود

خير الدين بربروس،مذكرة خير الدين بربروس، تر محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع،ط2010،1، الجزائر،ص82[1]

[2] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514_1830،دار روما،2012،ص53،

[3]خير الدين بربروس، المرجع نفسه،ص101،

[4]محمد علي صلابي،كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي تاريخ الجزائر ما قبل ال ح ع 1،دار المعرفة،بيروت،ص121

على التجارة[1]. وفي أواخر القرن 17م انتهج الأتراك أسلوب القوة وعدم مراعاة ظروف و أحوال الناس و الأهالي وتجاهل رجال الدين ما تسبب في حدوث انتفاضات و ردود فعل على سياسة الحكام[2].

المطلب 03: أهمية السواحل الجزائرية في التنافس الأوروبي.

شكلت السواحل الجزائرية نقطة محورية إستراتيجية بالغة الأهمية في الصراع المتوسطي بين القوى الأوروبية والدولة الجزائرية والتي من خلاله سعت الدول الأوروبية لفرض نفوذها و تطويق العالم الإسلامي و السيطرة على الطرق التجاري،فتحولت السواحل الجزائرية لمسرح رئيسي للتنافس البحري،إذ تعتبر الجزائر من الدول المتوسطية إذ تتمتع بموقع هام فهي تطل على البحر الأبيض المتوسط من جهة شمالها ومن جهة الجنوب الصحراء الكبرى وبعض الدول الإفريقية، ومن جهة الشرق و الغرب بعض الدول المغاربية فتعد معبرا رئيسيا نحو كل الاتجاهات وهمزة وصل بين القارات الأوروبية والإفريقية[3].

هذه الأهمية أكسبتها إياها إشرافها على البحر الأبيض المتوسط فكل الدول المطلة عليه تسعى على الدوام لتظفر بمكانة متميزة تجعلها تفرض هيمنتها عليه وتسهل السيطرة على خطوط الملاحة والمواقع البرية الرئيسية المطلة عليه.[4] وقد كان للبحر المتوسط فضل كبير في تطور الملاحة البحرية، إذ أن تعاريج سواحله وهدوء مياهه كانت دافعا قويا وراء

---

[1] مؤيد محمود حمد المشهداني، أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني1518_1830،مجلة الدراسات التاريخية والحضارية،جامعة تكريت،ص411

[2] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984

[3] أزرقي شويتهام,المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 1519.1830، دار الكتاب العربي، ط01،ج01، 2008 , الجزائر ،ص11

[4] Fernand Brandael ,la méditerranée et le mande méditerranéen a lépreuse philippell,T3,Armand colin,5ed, paris, 1821 ;p323

هذا التقدم، كما أنه يعتبر حلقة هامة في الطريق التجاري الذي يربط الشرق بالغرب فهو مهد لكثير من الحضارات.[1]

وقد عرفت المدن الساحلية الغربية ازدهارا للتجارة ومركزا للقوافل الصحراوية التي ترسو في السواحل وكذا القادمة من مدن أوروبا مثل جنوا و مرسيليا و برشلونة[2]، وأيضا المدن الشرقية على حد سواء،فكان للقل علاقات تجارية مع جنوا التي تتاجر بالشمع و الجلود وكذا سكان جيجل وعنابة التي تزخر شواطئهما بالمرجان، فكان التبادل التجاري الأوروبي نشطا للغاية[3] هذا جعلهم يزاحمون الجنويين الذين استغلوا أسواق الشرق الأدنى مدة طويلة، فالبندقيين كانت بيدهم تجارة آسيا و إفريقيا و لم يكن بمقدور الإسبان منافستهم[4].

و بالإضافة إلى أن المدن الجزائرية كانت تزخر بخيراتها و قد وصف "مرمول بربخال" مدينة هنين فقال" أنها مدينة صغيرة محصنة ببرجين،بها مساجد حسنة البناء، أهلها يقومون بالتجارة والصناعة ،كصناعة أقمشة جميلة ويتعاملون مع تجار البندقية[5] ". هذا وقد وصف الزياني مدينة وهرن فقال "إنها مدينة ساحلية عظيمة ذات فخامة وبساتين و أشجار ومياه عذبة وحبوب وفواكه وخضر وقصور وبروج مشيدة[6]." وقال عنها البكري:" وهران حصينة ذات مياه سائحة وأرجاء، ولها مسجد وجامع" [7]. ولمدينة تلمسان موقع هام أيضا حيث اعتبرت بوابة بين الشرق والمغرب الأقصى،ومن يملكها يملك التدخل في عمق المغرب و الجزائر[8]،أما مستغانم فوصفها "مارمول" بأن بها مرسى جيد وهي مفتاح لكل البلاد[9] و بها

[1] يسرى الجوهري، جغرافية البحر المتوسط، دار منشأة المعارف للنشر،الإسكندرية،1984،ص1

[2] يحيى بوعزير، مدن تاريخية وهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية، 1985،ص58

[3] صالح عباد،المرجع السابق ، ص17

[4] عمر محمد الباروني،الإسبان وفرسان القديسين يوحنا في طرابلس، 2011، مصر،ص 07

[5] مرمول كربخال،إفريقيا، ،تر محمد الحجي و آخرون،دار المعرفة، ج 2 ،الرباط، 1989،ص296

[6] محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران،المرجع نفسه،ص28

[7] أبو عبيدة البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب، مكتبة المثنى،بغداد، د ت، ص 70

[8] محمد دادا، تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي العثماني والمغاربة في القرن ال 16 ميلادي ،ص193

سواحل جلها بها موانئ تجارية ساهمت في تنشيط حركتها التجارية بالخارج والداخل وكذا الموانئ الشرقية و الغربية[1]. وما سهل التجارة الخارجية البحرية، وموقع الجزائر وطول شريطها الساحلي الذي يبلغ حدوده 1200 ميل[2]، فالموقع الجغرافي الممتاز ورواج التجارة الخارجية بالجزائر كون لها علاقات خارجية مع دول الجوار، خاصة الدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط التي أصبحت تسيل لعاب الدول، فقد شهد حوض البحر المتوسط خلال القرن السادس عشر نزاعا حادا بين الشرق الإسلامي بقيادة الإمبراطورية العثمانية من ناحية والغرب المسيحي بقيادة اسبانيا من ناحية أخرى،وشكلت سواحل المغرب العربي عموما والجزائر خصوصا موطنا حقيقيا للصراع المسيحي الإسلامي[3].

فقد انطلق الغزو الإيبيري لسواحل المغرب احتلال مدينه سبته م1415 وسرعان ما ظهر الإسبان كمنافسين، الأمر الذي أدى بالبابوية إلى التدخل وتقسيم نفوذه الدولتين مما أدى إلى اكتساح سواحل المغرب العربي وإنشاء إمبراطوريتين كبيرتين هدفها احتلال موانئ المغرب وبلاد المغرب على البحر واستعماله حماية لبلادهم وتجارتهم[4]. وأرادت اسبانيا[5] استرجاع أمجاد الإمبراطورية القديمة خاصة بعد اكتشاف العالم الجديد، واحتلال السواحل لما لها من أهمية في إيصال بحري آمن بين السواحل الايطالية والإسبانية[6].

---

[9]مرمول كبرخال ، المرجع السابق،ص350

[1]عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة،ج3،بيروت،1983،ص 497

[2]يحيى بوعزير،علاقات الجزائر الخارجية مع الدول والممالك في أوروبا 1530، ديوان المطبوعات الجزائر 1980،ص12

[3]لخضر بوطبة، المجلة التاريخية الجزائرية، الصراع المسيحي الإسلامي في حوض البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر ،الاحتلال الإسباني للمدن الساحلية أنموذجا، ع 04،ص117

[4]أحمد بوشرب وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه، دار الأمان شركة طوب للإستثمارت والخدمات ،ط01، الرباط،1997، ص94

[5]تقع اسبانيا في جنوب غرب أوروبا في شبه الجزيرة الإيبيرية يحدها من الجنوب والشرق البحر الأبيض المتوسط ومن الشمال فرنسا وخليج بسكاي، و إلى الشمال الغربي والغرب المحيط الأطلسي والبرتغال: ينظر، مسعود الخوند، الموسوعة الجغرافية، ج 01،اسبانيا ، ص 281

[6]شارل أندري جوليان، المرجع السابق،ص322

بدأت حركه الاسترداد المسيحي بداية بمملكة غرناطة، وهكذا بذلت اسبانيا كل ما وسعت لإخراج البقية الباقية من فلول الأمة الأندلسية، ولم تدخر وسيله بشريه للقضاء على آثار المرسكيين إلا واتخذتها. ويذكر "محمد عبد الله العنان" أن عصر إسبانيا الذهبي بدأ بالذهاب المركسي وبذلك حققت وحدتها الدينية[1]، وسلطت إسبانيا على أهل غرناطة أشد المضايقات وخرقت معاهدات الصلح فاستعملت البطش والتعذيب، فأدركهم الهوان واكرهوهم على اعتناق ديانتهم[2].

هذا من جهة و أما من الجهة الثانية فقد نجد أن إسبانيا الموحدة خاضت حروبا ضروسا مع فرنسا عرفت بالحروب الايطالية، والتي استمرت أكثر منتصف قرن فيما بين(1494_1559) والتي شكلت مظهرا من مظاهر التنفس الدولي رغبة في التوسع، وكانت شبه الجزيرة الايطالية مسرحا لها، ثم انتقلت الحركة التوسعية لخارج أوروبا[3]، وقد أدى التنافس بين الدولتين البرتغالية والاسبانية في مجال الكشوفات الجغرافية والاستعمارية فيما وراء البحر إلى اتفاق على تنظيم القوى وتوحيدها للقضاء على قوة المسلمين الاقتصادية فتم الاتفاق على تقسيم مناطق النفوذ و إبرام معاهدة توردي سيلاس 1494،وهذا التقسيم الذي جعل المستعمرات الشرقية المكتشفة من نصيب البرتغال، والمستعمرات الغربية المكتشفة من نصيب اسبانيا، واتجهت نحو الشمال الإفريقي في المناطق الواقعة شرق"حجربادس"[4]. وقد تركز الغزو البرتغالي في المغرب وسواحله الأطلسية[5].

[1]محمد عبد الله العنان،نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين،ط 03، ص ص409_417

[2]عبد الواحد ذا النون طه: حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، دار المدار الإسلامي،ط01، لبنان،2004،ص17

[3]عمر عبد العزيز عمر، التاريخ الأوروبي الأمريكي الحديث،دار المعرفة الجامعية 2000،ق 01،ص 84

[4]أحمد سالم علي، إستراتيجية الفتح العثماني، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،2012، ص150_151

[5]عبد القادر فكاير، الغزو الإسباني لسواحل الجزائر1505_1792،ص 27

أما البرتغالي فلم تستطع الدولة المرينية بالمغرب أن تواجه هذا الخطر لأنها في طور الانهيار والزوال وقد دعا البابا إلى حرب صليبيه ضد القوى الإسلامية كما سبق الذكر التي تهدد العالم الإسلامي، واستجاب الملك المسيحي البرتغالي لنداء البابا واستولى على طنجة(1458م)[1]، واحتل الإسبان موانئ هامة على سواحل المغرب الإسلامي كالمرسى الكبير 1505م وهران 1509.[2]

ففي بداية القرن 16 لم يكن للجزائر قوة بحرية لمواجهة الخطر الإسباني خاصة بعد احتلال سواحلها ومحاولة إقامة إمبراطورية في شمال إفريقيا فلم يكن رد فعل بحري عنيف فعلي[3]، وبالمقابل نجد أن العثمانيين حققوا انتصارات في شرق أوروبا ويتمتعون بوزن سياسي ديني عسكري وانتزعوا من أوروبا العديد من الأقاليم والجزر الموجودة في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط [4]. وكانوا يسعون للحصول على موضع قدم لهم في هذه المنطقة التي أصبحت نقطة محورية للاحتكاك بينهم وبين الإسبان الذين احتلوا السواحل الجزائرية وقد نجحت جهود الإخوة بربروس في طرد الإسبان [5].

[1]أحمد سالم علي، المرجع السابق ،ص 143

[2]رأفت الشيخ، التاريخ العربي الحديث،علم الدراسات للبحوث الإنسانية والاجتماعية،مصر، 1994،ص374

[3]علي تاغليت، البحرية الجزائرية عبر التاريخ من القرن 14 إلى القرن 19، مجلة أفكار وآفاق،مج04، ع06، الجزائر،2015، ص297

[4]هيربرت فيشر، أصول التاريخ الأوروبي من النهضة إلى الثورة الفرنسية ، تر زينب عصمة راشد أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ط 03،دار المعارف، القاهرة،2001،ص373

[5]لخضر بوطبة ، المرجع السابق ،ص117

المبحث الثاني: الحملات الإسبانية على الجزائر و أهدافها

المطلب01: الحملات الإسبانية وسقوط الموانئ الجزائرية.

شكلت الحملات الإسبانية على السواحل الجزائرية خلال القرن السادس عشر أبرز مظاهر الصراع المتوسطي بين القوى المسيحية الأوروبية والقوى الإسلامية في سياق اتسم في تصاعد التنافس البحري والسياسي، فبعد سقوط الأندلس في أواخر القرن الخامس عشر سعت اسبانيا الكاثوليكية لمواصلة مشروعها التوسعي لتطويق العالم المسيحي و الحد من النفوذ العثماني، وقد ركزت على السواحل الجزائرية مستعملة كل الوسائل للوصول إلى مبتغاها، ومن بين المدن التي تعرضت لقوة السلاح نذكر منها:المرسى الكبير، وهران ثم بجاية. بداية نتطرق لسقوط المرسى الكبير(1505م)، فيمكن القول أن الأسبق في احتلاله كان من نصيب البرتغال سنة (1505م)[1]،لكنها كانت محاولة فاشلة و استتب الأمن إلى غاية سنة 1505م،فكانت هذه الحملة بمباركة الكنيسة وتنفيذا لوصية الملكة إيزابيلا وكان الكاردينال الخيمينيس الموجه والمطبق لهذه الحملة، والذي اعتمد على الجاسوس جيرو نيمو فينالي الإيطالي الذي حبك معه الخطط لتنفيذ الغزو وكانت له معرفة جيدة بشواطئ شمال إفريقيا[2]ونظرا لفراغ خزينة الدولة تولت الكنيسة هذه المهمة، فاجتمعت السلطتين الزبانية والروحية للغزو[3].

[1]عبد الرحمان بن محمد الجيلالي،تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية ، د س ط،ج03، الجزائر، ص 195

[2]مبارك الميلي،ج03، المرجع السابق،ص20

[3]عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، دخول الأتراك العثماني للجزائر، ص51

وقاد الحملة ديغو فرناد يديكور ددوبا(D'égo Fernandez de cordoba) وكان الأسطول يتألف من 150 سفينة مختلفة الأحجام و 600 جندي و تأخر في الوصول بسبب الرياح والعوامل الطبيعية[1]،وهذا التأخر جعل السكان يعتقدون أن الإسبان يتخلون عن خطتهم في مهاجمة المرسى الكبير، إلا أنهم شرعوا في مهاجمته صباح يوم 10 أيلول، ولم يجد الإسبان أمامهم العدد الكبير من المدافعين وفرضوا حصارهم عليها[2]،إلا أن سكان المرسى الكبير لم ييأسوا من الدفاع على مدينتهم فاجتمعوا كما ذكر "توفيق المدني" ليلا في دار المزوار للبحث عن طرق للخلاص من هذا العدو إلا أن رأي الأغلبية ذهب للاستسلام لعدم تكافؤ القوى[3].

وبعد احتلال المرسى الكبير الذي اعتبرته اسبانيا حافزا لمواصلة مشروعها التوسعي توجهت أنظار الصليبيين لمدينة وهران، وقام "الكردينال خيمينيس"[4] بالتحضير للحملة وعين بيدرو نافارو قائدا عاما لها، وأقلعت يوم(07 ماي 1509) بتعداد يقارب 15000جندي يتوزعون على متن سفن متنوعة، ونزل الجيش الإسباني بالمرسى الكبير ثم اتجه لوهران[5]،وفي طريقهم لوهران احتلوا مدينة المدية بفضل مساعدة الجاسوس "سطورا" الذي فتح لهم باب المدينة ودخلها الإسبان، ودارت بينهم وبين الأهالي معارك وارتكبت في حق الأهالي مجزرة رهيبة، وذبحوا فيها 4000 مسلم و أسرو 8000 وأنقذوا 300[6] أسير

[1]نجيب دكاني،الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن ال10 هـ_16م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،2001،ص24

[2]الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث،المرجع السابق، ج03،ص 23

[3]أحمد توفيق المدني، حرب الثلاث مئة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492_1792،المرجع السابق ،ص87

[4]هو فراي فرانسيسكو خيمينيس يسميه العرب ابن الخمينينيس أسقفه كائنة في قسطيلة 1437، من عائلة خاملة وفقيرة، و أبوه كان قابضا للضرائب ينظر:عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، المرجع السابق،ص 55

[5]محمد دراج،الدخول العثماني للجزائر المرجع السابق،ص 106

[6]مبارك بن محمد الميلي،تاريخ الجزائر الحديث ج 02،المرجع السابق،ص488

مسيحي، وكوفئ اليهودي "سطورا" وأوكل له مهمة استخلاص الغرامات، ومن باب التعصب الديني قام "الكردينال خيمينيس" بتحويل المساجد إلى كنائس وأنشئ معاقل وحصون للدفاع ضد الأهالي[1].

وبعد هذا الانتصار غادر خيمينيس مدينة وهران مطمئنا بعد أن ترك فيها حامية عسكرية مخافة من قيام هجومات ضدهم[2] ، وبعد احتلال وهران توجهت أنظار الإسبان لمدينة بجاية 1510، التي كانت تقع على الساحل الشرقي للجزائر وعرض خليجها 28 ميل. وينحصر بين رأسين بارزين في البحر مما جعلها ذات مرسى من أحسن المراسي[3]، فهي من أهم المدن الجزائرية وتتميز بنشاطها العلمي والتجاري و العمراني، و لأهميتها أمر الكاردينال خيمينيس بخروج أسطول متكون من 14 سفينة على متنها 8000 جندي سيرها نحوها، ومع طلوع الفجر تمكنوا من فتح فجوة بالسور المحيط بها وسيطروا عليها رغم المقاومة الشديدة لسكانها على رأسهم حاكم قسنطينة" الحفصي عبد العزيز"[4] .

وخلت المدينة من سكانها الذين تم ترحيلهم للمرتفعات، وخرب اقتصادها نظرا لفرض الضرائب المرتفعة[5].

وهدموا قصر الكوكب و الجامع ومنار قصر اللؤلؤة الذي يعود للعصر الحمادي، ونقلوا في سفنهم كل ما وجدوا فيها من تحف ونفائس إلى إسبانيا[6].وباحتلال بجاية توجه الإسبان لمدينة عنابة واحتلوها في نفس السنة[7].

---

[1]أحمد سليماني، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة ، الجزائر، ص 99

[2]محمد دراج، المرجع نفسه، ص109_110

[3]احمد توفيق المدني،حرب الثلاث مئة سنة ، المرجع السابق،ص115

[4]مارمول كربخال ،المرجع السابق،ص377

[5]نجيب دكاني،المرجع السابق،ص 28_39

لقد أحدثت هذه الحملات العسكرية التي قادا الإسبان على المرسى الكبير ووهران و بجاية و عنابة ونجاحه في احتلالها هلعا وخوفا في وسط سكان المدن الأخرى التي دانت بالخضوع و الاستسلام لعدم امتلاك القوة العسكرية الكافية لصدها، فلقد توجه حاكم مدينة الجزائر"سالم التومي" في 31ماي إلى بجاية الإسبان وطلب معاهدة الخضوع ووافق على تسليم مدينة الجزائر وأصبحت تحت التهديد الإسباني[1] .

وفي سنة 1511 تم إخضاع مدينة مستغانم وأمضى قاضي مستغانم "يحيى بن عبد الله" وثيقة الاستسلام أيضا[2]، أضف إلى ذلك استسلام مدينة شرشال، وأرسلت مدينة شرشال ودلس و مستغانم وفودا إلى إسبانيا طالبين التبعية والخضوع لملوك الكاثوليك رغم جور المعاهدات المبرمة بينهما والتي تتضمن تقديم فدية سنوية وإطلاق سراح الأسرى المسيحيين والتخلي عن القلاع والحصون [3].

وقد حالت ظروف إسبانيا على حساب مدينة عنابة والقل لكن هذا لا يعني أنها لم تستولي عليها بل كانت مسألة وقت فقط لا غير بل توجهوا لمملكة بني زيان المتناحرة فيما بينها، هذا الأخير الذي أخرها على معاهدة الصلح مع الإسبان إلى غاية سنة 1512، اعترفت بموجبها على استيلاء اسبانيا علة الغرب، وفي هذا الجو المشحون بالصراعات الداخلية و الخارجية وتحالف بني زيان مع الإسبان أغضب أعيان تلمسان[4] و استنجدوا

---

[6]عمار عمورة،الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال،ص199

[7]العربيي أسمهان ، المدن الساحلية ودورها في الصراع البحري الإسلامي المسيحي مدينة عنابة أنموذجا، مجلة العصور ،ع21، الجزائر ،2013،ص262

[1]عائشة غطاس،الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها ،ص17

[2]أحمد توفيق المدني، حرب الثلاث مئة عام،المرجع السابق ، 149ص

[3]أسماء بلالي،مجلة روافد، ص4

[4] عمار عمورة، المرجع نفسه،ص199

ب"عروج"[1]، كما احتل الجنوبيون ميناء جيجل 1513، و بهذا وجد السكان أنفسهم تحت رحمة الإسبان و الجنويين، وأيضا احتلال مرسى هنين فيما بعد الساحلي ب تلمسان 1531، وكانت الحملة بقيادة الدون "ألفارو دوبازان" و أصبح الاحتلال الإسباني منتشرا على طول الشريط الساحلي الجزائري[2]. وتهدف هذه الحملات إلى نشر المسيحية وتأمين السواحل الجنوبية للسيطرة على الملاحة البحرية، وحماية إسبانيا من هجمات القراصنة المسلمين.

المطلب02: دور القوى الأوروبية في دعم التوسع الإسباني

كان للقوى الأوروبية أثر بارز في التوسع الإسباني على الجزائر خلال القرن السادس عش باتخاذها مختلف الأساليب سواء مباشرة أو غير مباشرة، وتمثل هذا الدعم في شكل أحلاف سياسية ودعم اقتصادي وتنامي النزعة الصليبية، حيث كانت إسبانيا أهم قوة في العصر الحديث عموما و إقليم قشتالة الأهم بها، وقد ساعد الإرث والزواج السياسي على تجميع الأقاليم واستقطاب الدول لدى ملوك إسبانيا الذين عرفوا كيف يرسمون خطوط واضحة لسياساتهم فتكونت دولة مركزية موحدة أثرت على الوجود الإسلامي خصوصا في منطقه المغرب الإسلامي[3]، وقد كان لزواج إيزابيلا[4] الأولى ملكة قشتالةوفرديناند الثاني ملك الأراجون 1469 رمزا للوحدة الإسبانية والتي لم تصبح موحده فعليا إلا مع سنه 1492،

[1]عمار عمورة، المرجع السابق،ص199

[2]أسماء بلالي ،المرجع نفسه، ص47

[3]نبيل عبد الحي رضوان، المرجع السابق،ص 30

[4]إيزابيلا مملكة قشتالة من مواليد مدريد1451_1540، تولت الحكم بعد وفاة أخيها هنري الرابع، كانت لها السلطة العليا في مملكتها بعد سقوط غرناطة، حصلت على لقب ملوك الكاثوليك فرديناردالبابا أليكساندر السادس ينظر:

Dictionnaire, Encyclopédie des Nions propres de la langue Français Hachette , Paris 1991,P67

عندما احتلوا غرناطة و افتكوها من المسلمين، وقد تزامن ذلك مع ظهور حركه الكشوفات الجغرافية للعالم الجديد حيث تمت باسم ملكي "إسبانيا فريدينارد و إيزابيلا" وفتحت الآفاق ليكون قوة استعمارية جديدة تدعى إسبانيا[1].

حيث تميزت سياسة هاذين الملكين بالتعصب للمسيحية بداية بما تبقى من المسلمين بغرناطة ومحاوله تنصيرهم، وجعلت من مطران طليطلة ورأس الكنيسة الإسبانية أداة لها[2]،فقد أثر الكاردينال خيمينيس على رأي إيزابيلا كما قال مبارك الميلي حيث خشي أن يكون سقوط غرناطة و فرار العرب المسلمين من الأندلس إيذانا بتوقف الحرب ضد العرب والمسلمين، لذلك أثار مخاوف الملكة إيزابيلا التي كان يعرف عنها أنها الأشد تعصبا و أقنعها بضرورة نقل الحرب لشواطئ شمال إفريقيا بحجه أن العرب والمسلمين لا يعتبرون خروجهم من الأندلس هزيمة نهائية بل تظاهروا فقط بالهزيمة بانتظار الفرصة المناسبة لينقضوا من جديد على الأندلس فلابد من القضاء على أوكار القراصنة المسلمين في الشمال الإفريقي[3] . فبالرغم من توقيع معاهدة بين الأمير" أبو عبد الله محمد بن علي" لملك غرناطة وملكي قشتالة والأراغون سنة 1491 التي تضمنت مجموعة من الشروط تحفظ النفس والمال والأهل والعقار و الدين[4].

[1]مسعود الجند، الموسوعة التاريخية الجغرافية،المرجع السابق،ص281

[2]محمد رزوق، الأندلسيين وهجراتهم إلى المغرب خلال القرن السادس عشر والسابع عشر إفريقيا شرق، الدار البيضاء، 1959، ص 57

[3]مبارك بن محمد الميلي الهلالي، تاريخ الجزائر الحديث، ج03، المرجع السابق، ص ص21_22

[4]عبد الواحد زنون طهارة، الرجع السابق، ص 10

لكن هذه العهود أخرقت وسقطت غرناطة وأصدر الملك الكاثوليكي فرديناردأمرا بإجلاء جميع المسلمين من شبه جزيرة إيبيريا[1]، فطرد سكان غرناطة كانت الخطوة الأولى لتعصب الملكين الكاثوليكيين وللممارسة الفعلية للاضطهاد الديني فساروا على نهج المبدأ القائل "أن واجب الدولة المسيحية هو القضاء على الخراطقة داخل حدودها" ولا نجد في كامل أوروبا كنيسة بروتستانتية واحدة خضعت للحاكم مثل خضوع كنيسة إسبانيا الكاثوليكية، هذه الأخيرة التي أبرمت معاهدة توردي سيلاس1494السابق ذكرها لفك النزاع بين الإسبان والبرتغال وتقسيم الأراضي بينهما[2] كما أصدر البابا أمرا لكل النصرانيين بضرورة دفع الضريبة لملوك إسبانيا، فجمع الرهبان أموالا طائلة[3].

وساهمت الكنيسة ورجال الدين بدورهم بجمع ما لديهم من مال وحماس لمحاربة المسلمين، وتجدر الإشارة إلى أن روما هي الأخرى لم تتوانى إلى تنظيم حملة صليبية جديدة واستقبلت بإيجابية واسعة في بلاد أوروبا ولا سيما في أوساط طبقة النبلاء[4]، وبحلول القرن السادس عشر أصبح الدين هو الدعامة الأساسية بكل التحركات السياسية، فالكنيسة الكاثوليكية كانت تتدخل في كل شيء فأصبحت الأساس في بناء الوحدة، وقد كان الملوك الإسبان الأكثر تمسكا بالدين والمغالاة في حمل مسؤولية استرجاع الإرث المسيحي وحمايته على كاهلهم[5].

---

[1]إيتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911، تر خليفة محمد التليسي ، الدار العربية للكتاب،ط01، 1974، ط02، 1991، ص 128

[2]هيربرت فيشر، المرجع السابق، ص ص75_76

[3]صالح فركوس،تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم للنشر والتوزيع، د ط ، 2005،ص 100

[4]إيفانونون نيقولاي: الفتح العثماني للأقطار العربية1516_1574م،تر يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، 1988،ص31

[5]عبد الجليل التميمي،الخلفية الدينية للصراع الإسباني العثماني وقضية المورسكيين ، مركز الدراسات و البحوث العثمانية التوثيق والمعلومات،زغوان ،1989،ص68

فلما توفي فرديناردأوصى أولاده بأن يعملوا على تحطيم أتباع الديانة المحمدية[1].ودعت إيزابيلا أيضا ابنتها وكل المسيحيين إلى محاربة الدين الإسلامي حيث ذكرها محمد خير فارس في وصيتها وما جاء فيها(إنني أرجوا من الأميرة ابنتي جين و الأمير فيليب و آمرهما بإطاعته أمنا المقدسة الكنيسة طاعة تامة وأن يكونا حماتها والمدافعين عنها حسب ما يقتضي واجبهما و أن لا يكفا عن متابعة فتح إفريقيا ومحاربة الكفار في سبيل الإيمان)،[2]وكان لزاد جين ابنة فرديناردو إيزابيلا من فيليب دوبورغون ابن إمبراطور النمسا ماكسيمياليااندو هاسبرغ أن وحد التاجين فأصبح ملكا اسبانيا وإمبراطورا روما الجرمانية و أصبح يعرف بشارلوكان، حيث كان سيد الغرب ومرهب الكافرين ومنقذ المسيحيين[3]، وابنه من بعده فيليب الثاني وكان أكثر تعصبا من البابا الخامس نفسه، ووضع نصب عينه تحقيق حلم والده وإخضاع كل من الجزائر وتونس وطرابلس الغرب تحت سيطرة التاج الاسباني، وتجدر الإشارة أن شارلكان قاد حملة صليبيه انتقامية ضد الأسطول العثماني وبدأ بتجهيز حملته مستغلا الهدوء الذي ساد في أوروبا من خلال عقد هدنة في نيس 1538 مع فرنسا[4].

وبذلك يمحو هزيمة معركة بروزة 1538 التي انتصر فيها العثمانيون، مستغلا صراع الكيانات السياسية ببلاد المغرب وغياب خير الدين بربروس، وتهدف هذه الحملة إلى طمس المعالم الإسلامية، وانطلق الأسطول الإسباني يوم 18أكتوبر1541[5]، وكانت هذه

[1]حتاملة محمد عبدوا، التنصير ألقصري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين،1474_1516،ط1،الجامعة الأردنية،عمان،ص114

[2]محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي،ص 12

[3]محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني، ص281

[4]محمد مبارك الميلي،ج02، المرجع السابق،ص 64

[5]مهدية طيبي، حملة شارلوكان على مدينة الجزائر 1541 وردود الفعل الجزائري، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة،ص ص241_242

الأرمادة من أعظم ما شهده القرن16 من حيث التحضيرات العسكرية و البوارج التي شاركت فيها كل البلاد الأوروبية من نبلاء فرنسا ومتطوعين وكبار الرجال الكنيسة من إسبانيا وألمانيا وايطاليا وفيلق من فرسان مالطة بقيادة القائد الجنوي أندري دوريا وكولونا حفيد البابا و حاكم مدينه وهران نفسه[1].

وما إن سمع حسن آغا عن الحملة حتى بدأ يستعد هو الآخر معتمدا على معلومات جواسيسه ووقعت مفاوضات من طرفين انتهت بالفشل، وجرت عدة معارك، وبمساعدة الظروف الطبيعية انهزم شارلكان[2]، وعاد لبلاده ورمى تاجه في البحر وأقسم أن لا يضعه على رأسه إلا بعد استيلائه على الجزائر ثم اعتزل السياسة و اعتكف في احد الأديرة ليموت من حسرته بعد عدة أشهر من الحملة.[3] وهكذا فإن الدعم الأوروبي للتوسع الإسباني بالجزائر من تحالفات سياسية والدعم المالي والعسكري جاء ليحقق المشروع الأوروبي التوسعي وكبح التوسع العثماني في المنطقة .

[1]مهدية طيبي، المرجع السابق، ص ص241_242

[2]شارلكان أو شارل الخامس هو حفيد الملك فرديناردالأول ملك الأراغون وإيزابيلا ملكة قشتالة و ابن فيليب الجميل وجان المجنونة ، ولد سنة 1500 في جنت (Ghent) ببلجيكا حاليا،توج دوقا وعمره لم يتجاور 19 سنة وورث الأراضي المنخفضة وتوج ملكا عام 1514 و ملكة الجرمان في 1519، قاد الحملة ضد الجزائر ينظر: محمد قين و مقيدش علجية ،حملة شارلوكان على الجزائر ونتائجها 1541، مج 07، ع04، الجلفة،2022،ص301

[3]المرجع نفسه، ص30

المطلب03:إستراتيجية الاحتلال الإسباني و تأثيرها على السكان

إن فكرة توسيع المملكة الإسبانية لتصبح دولة عظمى في البحر المتوسط لا يكون إلا بالتوسع على منطقة شمال إفريقيا، التي تمر بمرحلة ضعف وتمزق سياسي[1]، فشملت خطة الإسبان والبرتغال تطبيق أقاليم المغرب العربي و الاستيلاء على المواقع المطلة على البحر المتوسط و محاوله تحويله للمسيحية[2] واتبع الإسبان سياسة استعمارية مفادها إخضاع المغرب الأوسط بمرحلتين، الأولى باحتلال المدن الساحلية المحصنة وحصر المسلمين داخل البلاد بعدها الزحف على المراكز الساحلية المحصنة على البلاد الداخلية و إخضاعها فنجحت الأولى و أحبط مخططهم قدوم العثمانيين للمغرب الأوسط لكن في الثانية أحبط مخططهم عند قدوم العثمانيين[3].

فالمشروع الإسباني اقتضى التمركز في أهم النقاط الإستراتيجية للسواحل[4] للسيطرة على الطرق التجارية و الموانئ المهمة مثل تلمسان ووهران التي تعتبر مركز عبور تجاري يربط الساحل بإفريقيا، خاصة أن الإسبان اكتفوا بالسواحل دون أن يتوغلوا إلا للتمويل بالمواد الغذائية أو احتلال المناطق التي كانت أقاليمها تتميز بالثروات الطبيعية والحيوانية لأن إسبانيا كانت تعيش فترة انهيار اقتصادي[5].

---

[1]ياسين حكمت ،الغزو الإسباني في القرن السادس عشر أسبابه ومراحله ونتائجه، مجلة الأصالة، ع14 ،2011،ص243

[2]يحيى جلال، تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر، المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية،1999،ص65

[3]احمد توفيق المدني،حرب الثلاث مئة عام،المرجع السابق،ص113 ص_114

[4]خديجة دوبالي، مجلة القرطاس، الغزو الإسباني على السواحل الجزائرية،1505_1511،ع 06،2017،ص34

[5]أحمد شريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، تح أحمد توفيق المدني،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1971،ص ص33_38

وما ساعدهم على ذلك كما ذكرنا سابقا حالة التفكك التي أصبحت عليها بلاد المغرب الإسلامي والتي علموا بها عن طريق جواسيسهم[1]، فكلفت إيزابيلا لورانز وديبابديا مهمة التجسس على مملكة تلمسان وجمع المعلومات التي تساعدها على مهاجمتها[2]، وكذا الاستعانة باليهودي سطورا[3] الذي استقر مع مهاجري الأندلس في بلاد المغرب[4]، وبمساعدة هيسى العربي وابن غانس[5] والجاسوس ثياينيلي الذي قدم تقريرا تجسسيا للكاردينار خيمينيس يصف فيه مدينة وهران وجمالها وغناها بالأسواق والتجارة فعزم على غزوها[6]، وتمكن الإسبان من دخول وهران أواخر شهر أوت 1505، قاد هذه الحملة الماركيز قوماريس بعد حصار دام خمسين يوما حيث تم إجلاء السكان وحولوا مسجدها لكنيسة القديس مقيل و أقاموا بيها أول قداس لهم[7].

ويدعي الإسبان ليبرر هجماتهم هذه أن الأساطيل الإسلامية كانت تغزو بلاد النصارى، وأن المسلمين المغاربة كان لا تهدئ لهم بال في شن الغارات على الموانئ الإسبانية وبلاد جنوب أوروبا، وكانوا يسمون مثل هذه الحملات البحرية عمل القرصنة و اللصوصية البحرية ولذلك عزموا على احتلال شمال إفريقيا لمطاردتهم حتى لا يرجعوا إلى

---

[1] أحمد توفيق المدني،حرب الثلاث مئة عام،المرجع نفسه،ص77_78

[2] محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر الحديث، ج03، المرجع السابق ، ص20

[3] اليهودي سطورا كان من مهاجرين الأندلس ومن الذين أنقذتهم عدالة الإسلام في وهران من المحارق الإسبانية ،استخدمه حاكم وهران قابضا للمكوس فخانهم بفتح أبواب وهران أمام الغزاة الإسبان الذين كافئوه بتعيينه لجباية الخرجات البرية والبحرية وتوارثها عنه بنوه،ينظر :أسماءبلالي،المرجع السابق،ص44

[4] يحيى بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ ويليها مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر،الجزائر، 2009،ص30

[5] عمار بوحوش، المرجع السابق، ص47

[6] فكاير عبد القادر،الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية،المرجع السابق، ص34

[7] يحيى بوعزيز،المرجع نفسه،ص 40

أعمالهم من بعد، والأخذ بالثأر من الموانئ الإسلامية، والواقع أن الإسبان هم من طردوا المسلمين وأذاقوهم ألوان العذاب[1].

وحتى لا يحدث الاتصال بين الجزائريين ومسلمي الأندلس من تقديم مساعدتهم سعت إسبانيا إلى إقامة الحصون والأبراج العسكرية في الشواطئ الجزائرية وتأمين خطوط مواصلاتهم بين إسبانيا وايطاليا لتجعلها بداية لغزو المناطق الداخلية[2]،هذه الحصون المعاقل والصوامع التي استعملها الاحتلال الإسباني ضد الأهالي[3] هذه الأبراج[4] والحصون[5] والقلاع كانت متبعة في أوروبا خاصة، فتحولت وهران[6] من مدينة تجارية إلى مدينة عسكرية بتوسيع تلك الأخيرة التي كانت بها من قبل[7]،بعدما كانت تشهد رواجا تجاريا من منتجاتها العاج وريش النعام،الأغنام،الذهب،الحبوب وصناعة السيوف والسكاكين[8]، بالإضافة إلى ما

[1]عمر محمد الباروني، المرجع السابق، ص26

[2]عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهوا، المرجع السابق،ص45

[3]أحمد سليماني، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة،الجزائر، د ت، ص 99

[4]الأبراج:بناء مرتفع في سور المدينة أو القلعة أو الرباط أو القصر يرابط فيه الجنود المكلفون بالدفاع عنه ، و قد يبنى البرج في المدن الساحلية للدفاع عن المدينة،واختلف في مواد بناءه باختلاف العصر والبيئة،ينظر:عاصم محمد رزق، معجم المصطلحات للعمارة والفنون الإسلامية،مكتبة مدبولي،ص34

[5]الحصن: هو ذلك البناء الذي لا يوصل داخله إلا بالقتال وكان على نوعين:أحدهما عبارة عن بناء منفصل بذاته وكان يبنى في الثغور الساحلية وطرق القوافل التجارية و المواقع الحساسة وعلى حدود الدولة أما النوع الثاني فكان عبارة عن بناء متصل على هيئة برج أو سور في المدينة : ينظر عاصم محمد رزق، المرجع نفسه،ص81

[6]وهران: هناك أقوال متضاربة في أصل تسميتها لكن الأحرى أنها هي التي تورد أن بني يثرن عندما أرادوا غزوها لم يعرفوا مكانها، فسألوا رجل من أهلها فأبى أن يرشدهم فشددوا عليه فصوب عصاه نحو موقع المدينة وقال واه ، وسمعوا شخصا آخر يقول أنا فقصدوه وعثروا على المدينة وسلبوا أهلها وقالوا هذه غنيمة واه و وأنا ومع مرور الزمن حذفت بعض الحروف و أصبحت وهران ومنهم من يرى أنها اشتقت من اسم أحد الأمراء الفاطميين يدعى بوشارانو أرهام : ينظر أحمد سليماني،تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة للنشر و التوزيع ، الجزائر 2007،ص91

[7]مختار حساني، الدولة الزيانية،المرجع السابق،ص91

[8]أحمد سليماني،المرجع نفسه،ص91

تم ذكره نجد لجوء الحكام إلى سياسة أخرى انتهجها الإسبان لغزوها وتوسعها في بلاد شمال إفريقيا والجزائر خاصة، ونجد لجوء الحكام إلى توقيع معاهدات الإذلال والخضوع مع بعض قادة المغرب الأوسط، مثل قائد تلمسان التي تقتضي دفع ضريبة سنوية للإسبان لمساعدتهم على التوسع في موانئ الجزائر بدعوى مقاومة الأتراك[1].

كما تم إخضاع مدينه الجزائر وتعهد حاكمها بدفع الضريبة للإسبان[2] وكذا حاكم تلمسان وتنس التي استولى عليها الإسبان وقاموا بتقتيل كل شخص وجدوه أمامهم ولم يسلم من أذاهم النساء والأطفال[3] كما كان لنتائج آثار احتلال وهران أن معظم قبائل بني عامر وغيرهم من الأعراب وغيرهم الواقعين ضمن دائرة وهران قد خضعوا واستسلموا وأسلموا قيادتهم لاسبانيا وأصبحوا لهم عونا وجنودا، وتم تحويل بناء المسجد الأعظم إلى كنيسة للنصارى وأطلق عليها اسم كنيسة القديس ميخائيل[4]، وهذا كله يظهر وحشية الإسبان في تعاملاتهم عند احتلال المدن الجزائرية الساحلية فنجد في وهران قد أسالوا الدماء حتى صار لون ماء البحر أحمرا، ونهب كل ما وجدوه من تحف نفيسة وكتب و قناديل وغيرها وشحنها الإسبان لبلادهم، وحرروا حوالي 300 أسير مسيحي و أبقوا على سطورا وبن زهودة الجاسوسين مكاسين،[5]وتم تحويل المساجد إلى كنائس وحاولوا تغيير ملامح المدينة الإسلامية إلى مدينة مسيحية وأنشئوا سوقا تجاريا لتأمين متطلبات الحامية الإسبانية[6].

---

[1] يحيى بوعزيز، مجلة دراسات، المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد، 1975،ع 26،ص26،

[2]صالح كليل، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني،مذكرة ماجستير، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة،2006_2007،ص51

[3]فكاير عبد القادر، الغزو الإسباني، المرجع السابق،ص 35

[4]توفيق المدني، حرب الثلاث مئة عام،المرجع السابق،ص113_98

[5]أحمد سليماني،تاريخ المدن الجزائرية، المرجع السابق، ص98_99

[6]خديجة دوبالي، المرجع السابق ، ص ص 31_32

وكما يقول مبارك الميلي واصفا وحشية الاحتلال الإسباني وهمجيته في احتلال وهران وسلبها ونهبها بكل وحشية،[1] ونفس الشيء حدث لمدينه بجاية عند سقوطها بيد الإسبان فتعرضت للسلب والنهب واتخذوها مركزا للسيطرة على بقية المدن[2]. ودمرت كل المعالم الحضارية الثقافية التي تسخر بها بجاية والتي كانت رمزا لمجدها، والاستيلاء على كل ثرواتها و أشعلت نار الفتنة والتفرقة بين أفراد الأسرة الزيانية الحاكمة وبين أفراد المجتمع الجزائري الواحد وانعدمت الثقة بين مختلف الأطراف وإطلاق سراح الأسرى الإسبان دون قيد أو شرط، وكلفت الحرب الإسبانية خسائر بشرية حيث كان هناك عدد كثير من الموتى في صفوف المغاربة العرب وهم من الكثرة لا تجد موطئا لقدمك إلا فوق الجثث[3]وخلف خسائر فادحة.

[1]أحمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر ،ج03، المرجع السابق، ص26

[2] شوقي عطاء الله الجمل، المغرب العربي الحديث، ليبيا تونس الجزائر المغرب،مكتبة لأنجلو المصرية،مصر، 1977،ص83

[3]إيتوري روسي، ليبيا منذ افتح العربي،1911،ترخليفة محمد التليي،مكتبةالإسكندرية،دار العربية للكتاب،ط1974،01،ط1971،2ص70،

ومما سبق يمكننا القول أن المغرب الأوسط في الفترة التي سبقت القرن 16 كان تعيش انقساما داخليا وتناحُرا، مما سهل التدخل الأوروبي بها خاصة الإسباني فتحولت الجزائر إلى مسرح للصراعات الخارجية وللحملات العسكرية المتكررة التي استهدفت الموانئ الإستراتيجية للسيطرة على الطرق التجارية والممرات البحرية الحيوية، هذا التوسع المدعوم من قبل قوى أوروبية سد النفوذ العثماني رأت في الوجود الإسباني وسيلة لصد النفوذ العثماني، وفي خضم هذا الصراع غير المتكافئ وفي ظل التهديد الخارجي بدأت القوى المحلية الجزائرية تتجه للتحالف مع تتجه للتحالف مع الدولة العثمانية التي ذاع صيتها في أوروبا الشرقية والبحر الأبيض المتوسط باعتبارها القوه الإسلامية الوحيدة القادرة على ردع الإسبان والتصدي للمشروع الصليبي وبدخول العثمانيين للجزائر تتحول موازين القوى بالمنطقة.

الفصل الثاني:المقاومة الشعبية الجزائرية ضد الإسبان

تمهيد:

مع مطلع القرن السادس عشر واجهت الجزائر واحدة من أعنف موجات الغزو الأوروبي، حيث سعى الإسبان إلى السيطرة على مدنها الساحلية لتعزيز نفوذهم التجاري والعسكري.

وفي ظل هذه التهديدات انطلقت المقاومة الشعبية المسلحة بقيادة الأهالي المحليين والزعامات القبلية مدفوعة بالوزاع الديني والشعور الوطني،تميزت بخصوصيتها الشعبية ثم أصبحت أكثر تنظيما مع دخول القادة البحريين ذوي الخبرة العسكرية مثل الإخوة بربروس والتي مهدت لظهور قوة سياسية جديدة في المنطقة، وأقامت سلطة مركزية بدأت فعليًا سنة 1519.

المبحث الأول: أشكال المقاومة الشعبية.

المطلب01: المقاومة المسلحة1505_1518

سعت إسبانيا إلى بسط نفوذها على السواحل الجزائرية، مستغلة غياب سلطة مركزية قوية قادرة على التصدي لها، فواجه الشعب الجزائري بالرفض وقاومه معتمدا على المبادرات الفردية أو التحالف مع الدولة العثمانية وأول ما نبدأ به من ذكر المقاومات ما حدث في مسرغين 1507، حين حاول القائد الإسباني شنَّ الهجوم على المناطق المجاورة للمرسى الكبير بهدف توفير الحبوب وبمساعدة العملاء من قبائل بني عامر، قام الإسبان بالسلب والنهب لكن قوة المقاومين الجزائريين نادتهم لترك غنائمهم فتم القضاء على نحو 300 جندي تقريبا ونجا القائد ديكوردوبا.

ولولا وصول المساعدة من إسبانيا،لتحررت المرسى الكبير[1]، وتجدر الإشارة أنه قبل احتلال المرسى الكبير أي في ربيع م1504 حصل عروج على حق الإرساء في الموانئ الحفصية للتموين ومباشرة أعماله البحرية في سواحل أوروبا الجنوبية وصقلية وجنوب إيطاليا ومساعدة المسلمين الفارين من شبه الجزيرة البرية بسبب الاضطهاد والتعذيب والطرد على يد الإسبان فذاع صيُته[2]، وكانت ظروف الجزائر صعبة في بداية القرن 16 ما فتح شهية الإسبان في احتلال الموانئ الجزائرية وفرض الجزية على سكانها، وهذا ما دفع بالجزائريين الاستنجاد بالأخوين بربروسة[3] .

---

[1] نجيب دكاني، المرجع السابق،ص 25

[2] صالح عباد، المرجع السابق، ص 43

[3] لقب أسرة ،يُعتقد أنها من أصول تركية ، علمت في البحر مع بداية القرن السادس عشر ميلادي العاشر هجري وهو بمعنى ذو اللحية الحمراء أطلقه الفرينج على مؤسس الأسرة وهو جندب محارب وتابع أبناؤه من بعده الجهاد ضد القراصنة : ينظر مصطفى عبد الكريم الخطيب،معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة،ص72

عروج وخير الدين[1] لإنقاذهم من الاحتلال الأوروبي[2]. لأن الجزائريين كانوا في البداية يجهزون سفنًا صغيرة تشبه سفت الإسبان لمراقبة السواحل والتجارة، ويحتجزون السفن الاسبانية التي تقع في أيديهم ولا تدوم هذه الجولات أكثر من خمسة أو ستة أيام، وكانت قمم الجبال هي بوصلتهم التي تقودهم في سيرهم وتساعدهم في بلوغ الهدف[3]، وبهذا لم يكن للجزائريين أسطول بحري كبير يتم الاعتماد علبه لصد الهجمات الاسبانية ورغم نقص العدة والعتاد ووجود جزائريين متعاونين مع الإسبان، إلا أنه تم تحرير السواحل الجزائرية بمساعدة الإخوة بربروس الذين كانوا متمركزين في حلق الواد.

وبدءًا من العام 1512 اتصل أعيان بجاية وأمير قسنطينة أبو بكر الحفصي يطلبون التدخل لطرد الإسبان، فانطلق الإخوة بربروس من مركزهم وجرت معارك مع الإسبان لكنهم فشلوا في تحرير بجاية بسبب تعاون أمراء قلعة بني عباس مع الإسبان و التحصينات الاسبانية القوية ما أدى إلى إصابة ذراع عروج فلم تشفى وتم قطعها، وحدث ذلك أثناء اقتحام مدينة بجاية[4]فعاد إلى تونس وعندما علم الأهالي بعودتهم بأربعة عشر سفينة بعد ما خرجوا في أربع سفن فقط فرحوا بالغنائم لكن سرعان ما علموا بإصابة عروج، فخيم الحزن في أوساط الأهالي[5].

---

[1] ولد بجزيرة مدلِّي إحدى جزر اليونان والتي تسمى قديما جزيرة ليبوس حوالي 1483 وتوفي سنة 1546،دُفن بجهة شكطاش على شاطئ البوسفور، وله ثلاث إخوة إسحاق وعروج و إلياس من عائلة مسيحية ونشئو بجزيرة رودس ولد أيام حكم بايزيد.ينظر: مؤلف مجهول،سيرة المجاهد خير الدين في الجزائر،المرجع السابق،ص47

[2]عمار بوحوش، المرجع السابق، ص ص 51_52

[3] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق ،تع تح محمد العربي الزبيري،2006 ، ص79

[4]يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ،ج 02، ، ص10

[5]خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر محمد دراج، شركة الأصالة للنشر و التوزيع،ط01، الجزائر، 2010، ص 53

أيقن الإخوة بربروس أن مدينة بجاية محصنة جيدا وتمثل قاعدة قوية للاحتلال الإسباني في شرق الجزائر، وتأكدوا أن بقاءهم في حلق الواد يعتبر مجازفة حقيقية لبعدها عن بجاية مركز التواجد الإسباني[1]، فكان من المهم إيجاد البديل بحيث تكون أكثر قربا ويمكن اللجوء إليها عند الضرورة.

فقرروا ففتح مدينة جيجل التي تبعد عن بجاية حوالي 102كلم غربا، وذلك لكي يجعلوا منها نقطة انطلاق نحو تحرير بجاية، ويجدر بنا الإشارة إلى أن جيجل كانت محتلة من طرف الجنويين منذ سنة 1260[2].

وعند شنِّ عروج لهجومه الفاشل على بجاية سارعت حامية جيجل إلى طلب الدعم الذي تولى أمره القائد أندري دوريا ودخل جيجل واشتبك مع أهلها وأخرجهم منها، فطلب الأهالي من عروج أن ينصفهم ووعدوه بالدعم، فقاد عروج قوّته البحرية بمشاركة إخوته واندلعت معركة عنيفة واستطاع دخول المدينة وإبادة حاميتها ورجع أهل جيجل لبلادهم وشاركهم الإخوة بربروس اقتسام الغنائم سنة 1514[3] وبتحرير مدينة جيجل على الرغم أنها لم تكن ذات أهمية سياسية كبيرة في ذلك الوقت إلا أن عروج قام بعمل استراتيجي كبير وهام تمثل في نقل قاعدته من حلق الوادي إلى جيجل ويقال إنَّ سبب هذا النقل هو خلافه مع السلطان التونسي أبي عبد الله محمد الحفصي[4]، وأصبحت جيجل قاعدة عمليات القراصنة الأتراك ومستودع غنائمهم، ولم يفرض عروج على السكان إتاوة بل يتشارك معهم الغنائم.[5]

---

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق،ص 165

[2] محمد دراج،الدخول العثماني للجزائر ودور الإخوة بربروس، المرجع السابق، ص191

[3] بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر،1470_1547، دار النفائس،ص ص 88_89

[4] محمد بوشنافي، مساهمة عروج بن يعقوب في مواجهة الخطر الإسباني على المغرب الأوسط، مجلة عصور، ع 5/4، 2003_2004، ص 254

[5] شارل فيرو، تاريخ جيجلي، تر عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية، الجزائر، 2010، ص ص 98_99

وبعد أن أنهى عروج فتح جيجل وجعلها قاعدة عسكرية لممارسة الجهاد البحري وصد التوسع الإسباني، وطردهم من بجاية كان يعني تأمين السواحل التونسية وقطع الطرق التجارية والمواصلات بين إيطاليا وإسبانيا فهي مصيرية بالنسبة للأخوين لبسط نفوذهما في الحوض الغربي للمتوسط[1]، فتوجه من جديد إلى بجاية بمساعدة القبائل الجبلية وتمكن من الاستيلاء على إحدى القلعتين التي بناها الإسبان وحاصر بجاية والقلعة الثانية لكن لم يوفق في تحريرها لأن تلك القبائل انصرفت دون استئذان فاضطرعروج إلى الانسحاب نحو مدينة جيجل[2] ليقضي فصل الشتاء ويرتب جيشه.

وفي ربيع 1518 قاد عروج جيشه نحو بجاية للمرة الثالثة وصوب مدفعه نحو القصر الصغير وهدمه لكن الحصون الدفاعية الإسبانية ناحية البحر كانت قوية فحاولوا هدم القصر الكبير وحاولوا هدمه أيضا إلا أن قوة الدفاع الإسباني حالت دون ذلك وشارك حتى النساء والأطفال في الحرب ضد المسلمين، ونفذ ما عند عروج من بارود وطلب من السلطان الحفصي محمد بن الحسين الذي تغافل عنه، واستشهد أخاه إلياس[3] وكان وادي الصومام قد جفت مياهه فلم يستطع نقل السفن للبحر والعودة بها لجيجل فأمر بإحراقها و أقاموا جسًرا خشبيًا واجتازوه ورجعوا إلى جيجل[4].

---

[1] محمد دراج، الدخول العثماني للجزائر،المرجع السابق، ص ص 192_193

[2] نبيل تشيشي وعبد الكمال عطية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية،الجزائريون من التحالف مع الإخوة بربروس لطرد الصليبيين إلى تشكيل نظام سياسي جديد مطلع القرن 16م، مج 13، ع02، 2022، الوادي، الجزائر، ص 295

[3] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق،ص ص 169_170

[4] مجهوول، سيرة المجاهد خير الدين بربروس، تر تع تح عبد الله خمادي، ص 80

كانت مدينة الجزائر محافظة على استقلالها وتحكمها هيئة من الثعالبة يرأسها شيخ من شيوخهم منهم عبد الرحمان الثعالبي، ثم انتقلت إلى أولاد سالم من بني علاه الهواري وكان آخرهم سالم التومي[1] الذي ذهب إلى بجاية ليعلن ولاءه للقائد الإسباني أندري نافارا والذي طلب منه دفع غرامة مالية وفرض بناء قلعة على الجزر المقابلة للجزائر، وتم بناء حصن يضم قلعتين أصبح لاحقا رمزا محفورا في ذاكرة كل جزائري[2]، وبموت فرديناند وجد الجزائريون فرصة للتخلص من قيود المعاهدة وارتفاع قيمة الضرائب فقرروا الاستنجاد بعروج المتواجد بجيجل[3]، فلما وصل الخبر لعروج جهز نفسه وذهب للجزائر ولحقه أخوه الأكبر إسحاق[4]، وفي طريقه لمدينة الجزائر سار إلى مدينة شرشال وحررها وطرد الإسبان منها وقرر أصحاب الرأي فيها أن يمنحوه لقب أمير الجهاد1516[5].

غير أن سالم التومي كما يذكر "كورني شوفالي" لم يتحمّل غطرسة الأتراك ما أغضب السكان وجعلهم يتحدثون ضدهم، فقرر عروج اغتياله ليحافظ على سلطته. فوجد سالم مقتولا داخل حمامه، وبوفاته نصب عروج نفسه حاكما على مدينة الجزائر وصك العملة ولم يلتزم بالمعاهدة مع الإسبان[6]، هذه الأخيرة التي سيرت حملة عسكرية بقيادة ديغو دوفيرا 1516بعد أن تحالفوا مع أمير تنس وأتباع سالم التومي، لكن عروج قضى عليها وهزمهم وقرر الانتقام من أمير تنس فجهَّز حملة واقتحم تنس سنة1517 وقتل الأمير وطرد الإسبان

[1]عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر، ص39

[2]كورني شوفاليه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510_1541،تر جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية،2007،ص25، ص23

[3]بوشناق، المرجع السابق،ص 255

[4]مجهول، سيرة المجاهد خير الدين،المرجع السابق، ص83

[5]كورني شوفالي، المرجع السابق،ص29

[6]كورني شوفالي، المرجع نفسه،ص29

منها، وبينما كان عروج في مدينة تنس ينظم شؤونه قدم إليه وفد من تلمسان شكوا إليه أوضاعهم وتهديد الإسبان بسبب ضعف أمراء بني زيان[1].

فسار عروج إلى قلعة بني راشد فلقي ترحيبا كبيرا مع مأتي جندي مسلحين، وجرت معركة مع جيش أبو حمو وانتصر عروج وفر أبو حمو إلى الإسبان بوهران[2]، واستولى عروج على قلعة بني راشد وترك أخاه إسحاق فيها واستقر بعد انتصاره على أبو حمو الثالث بقلعة المشور[3].

فسارع الإسبان إلى قلعة بني راشد واسترجعوها من إسحاق وفرضوا حصارا مدته ستة أشهر على عروج ونفذت ذخيرته،فحاول اختراق الحصار ليلاً، لكنه استشهد قرب وادي سنة المالح 1518م[4]، أو في بني يزناسن وبقي فقط خير الدين من الإخوة الأربعة الذي وطد أركان الدولة الواحدة والتي غيرت مجرى التاريخ الإفريقي[5]، ويمكن القول أن المقاومة الشعبية ضد التوسع الإسباني قد اتخذت طابعا منظما خاصة مع ظهور الإخوة بربروس.

[1]نبيل تيتش، المرجع السابق، ص299 _298

[2]صالح عباد، المرجع السابق، ص ص 47_48

[3]نجيب دكاني، المرجع السابق، ص59

[4]عائشة غطاس، المرجع السابق،ص ص 23_24

[5]مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج01، ص 62

المطلب02: المقاومة والتحالفات الدولية

بعد أن ذاعت أخبار عروج وخير الدين وبلغت الأقطار المغربية وبلاد الأندلس وأصبحا في مدينة حلق الوادي يمثلان قوة إسلامية تتوجه لها الأنظار[1] وهو ما حدث فعلاً،إذ وجه القضاة والأطباء، والفقهاء، والأئمة ، والتجار والأعيان وجميع سكان مدينة الجزائر رسالة أشادوا بها بجهاد عروج وخير الدين والأعمال التي قاما بها، وكيف ناصروا خير الدين وامتاز بالعدل والإنصاف[2] ومساهمتهم في تحرير السواحل الجزائرية وطرد الإسبان منها، للإسراع في إنقاذ الجزائر قبل أن تلقى مصير الأندلس[3] .

وبالفعل لبى الإخوة بربروسة النداء و أغاثوا سكان السواحل الجزائرية وحرروا جيجل وفتحوا بعض القلاع في بجاية ومدينة الجزائر كما حاولوا دخول تلمسان، إلا أن عروج واجه مقاومة عنيفة فقد فيها أخاه إسحاق وبعد ستة أشهر قتل بعد أن وقع في فخ نصبه له الضابط الإسباني "غراسيا دو تينو" (Gracia de téneo) حيث أخذ رأسه ومعطفه إلى دير القديس جيروم وزُيّن به حائط بهو التَّعبد و ظل يُعرف لزمن طويل باسم"بهو بربروس".[4]

---

[1]أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 162

[2]علي محمد صلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، دار النشر والتوزيع الإسلامي،ط01، 2001، ص 212

[3]علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي تاريخ الجزائر ما قبل ح ع 2، دار المعرفة، بيروت، ص ص 116_117ص134

[4]وليم سينسر، الجزائر في عهد رياض البحر، تر تق عبد القادر زيادية، دار القصبة للنشر والتوزيع،ص ص 39_43

ووصل نبأ مقتل عروج لأخيه خير الدين وفكَّر الأخير في مغادرة الجزائر إلى إسطنبول لأنه كان يخشى ثورة المناطق المجاورة و الخطر الإسباني، إلا أن السكان منعوه لحاجتهم له، وأرسل الأعيان والعلماء رسالة إلى السلطان سليم خان يطلبون فيها الانطواء تحت لواء الدولة العثمانية وضرب السكة باسمه، وبعث هدية للسلطان فقبله ومنح لقب "ببيلرباي" لخير الدين[1] و أصبحت الجزائر ولاية عثمانيةً.

منذ 1518 م والتي منحتها الحماية من الخطر الإسباني[2] كما تجدر الإشارة أنه كانت هناك علاقات وثيقة بين الإخوة بربروس والدولة العثمانية في مسعى لتوطيد التحالف مع السلطان العثماني لكسب تأييده وهذا بمساعدة السكان، ونذكر على سبيل المثال عند فتحهم لمدينة جيجل أرسلوا هدية للسلطان ومعها مفاتيح القلعة ، هذا من جهة ومن جهة أخرى بعث خير الدين بعد وفاة عروج أخيه هديةً للسلطان و أعلن تبعيته له[3].

عمل خير الدين في بداية حكمه على مواجهة جهتين، جهة خارجية تمثلت في الصراع مع الإسبان خاصة والأخرى داخلية المتمثلة في محاولته لتوحيد بلاد المغرب وجعلها تحت سيطرته وحكمه لأجل هذا تعرض لمؤامرات عديدة من الحفصيين والزيانيين[4]، وتمردت بعض القبائل التي تقطن بالسهول المجاورة لمدينة الجزائر محاولين القضاء على الأتراك لكنهم فشلوا وأحبط خير الدين مخططهم، وقد كان خير الدين محقا في تصوره للوضع الداخلي والخارجي للبلاد[5]، فما إنْ انضمت الجزائر للدولة العثمانية أصبحت القوات الإسبانية تتجهز

[1] محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من المفتاح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ص29

[2] يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط02، ج02، ص16

[3] محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص ص 676_677

[4] صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، 1993، ص ص 16_17

[5] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق،ص ص76_75

للقضاء عليه وتعقد التحالفات مع الأمراء في المدن الجزائرية كما ذكرنا سابقا كأمير تنس ووهران و أمراء بنو زيان، وجهزت جيشا عام 1519 م بقيادة هوغو كودي مونكاد بالتحالف مع أمير وهران حتى وصلت كدية الصابون[1].

وحسب الخط لم يتفاهم القائدان الإسبانيان هوغوكو دي مونكا وغونز القودوريدوريا فالأول يريد الهجوم مباشرة والثاني يريد انتظار جيش تلمسان لدعمهم واستغل خير الدين الوقت وجهز جيشه فهزمهم[2].

وتجدر الإشارة أن القضية المرسكية من أهم العوامل المؤثرة في العلاقات الجزائرية الإسبانية طيلة القرن السادس عشر، حيث عبَّرت الجزائر عن دعمها للأندلسيين ومدو يد العون لهم نظير العنف الذي تعرضوا له على يد الإسبان[3].

فالمغرب العربي والدولة العثمانية كانا يُعتبران في نظر المرسكيين أنهم أرض الميعاد التي تعينهم وتقدم لهم الدعم مثل السلاح، لذا تزايد عدد اللاجئين نحو المغرب العربي منذ سنة 1570 م، ووجد المورسكيون موقعا لهم بالجزائر[4].

---

[1] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق،ص ص76_75

[2] كورني شوفالي، المرجع السابق، ص40

[3] عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية وقضية المورسكيين الأندلسيين، مركز الدراسات و البحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1989م، ص ص 07_08

[4] حنيفي هلايلي، أبحاث و دراسات في التاريخ الأندلسي المورسكي، دار الهدى، الجزائر، 2010، ص 20

ويمكن القول أن أهم الحملات الجزائرية لإنقاذهم التي قام بها كل من إيدن وصالح رايس سنة 1529م بأمر من خير الدين والتي أُنقذ فيها حوالي 600 مورسكي الراغبين في الهجرة، ووقع اشتباك بين الأسطول الجزائري و الإسباني قرب جزيرة البليار حيث تم إغراق بعض السفن الإسبانية وأخذ أسرى من أكابر الإسبانيين[1].

وقد نشر خير الدين الرعب في قلوب الأوروبيين و أنقذ عدداً كثيراً من المسلمين الذين كان الإسبان يضطهدهم ويذيقهم ألوان العذاب، ومع ما وصل إليه من الأتراك العثمانيين من قوة لكنهم لم يُكرهوا سكان البلاد المفتوحة على اعتناق الدين الإسلامي كما فعل فرديناردو و إيزابيلا اللذان اضطهدا مسلمي الأندلس بكل أشكال التعذيب مما أدى إلى قيام ثورة البيازين وبعدها ثورة البشرات[2] الذين رفضوا التنصير[3]، وقد لعب فيها خير الدين دورا مهما حيث جهَّز لهم 36 سفينة فنزل سكان الجبل من الأندلس وأخذ نساءهم و أبناءهم وما استطاعوا من أثاث و أموال وأرجعوهم للجزائر، وخلال سبع رحلات متتالية أنقذ 70ألفامن عرب الأندلس[4].

[1]محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس _ العصر الرابع _نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م، ص ص 386_388

[2] تنحصر منطقة البشرات (Alpujrra)في الأرض المرتفعة بين جبال الثلج أوسيفرا نيفادا والبحر المتوسط، ويبلغ طولها نحو تسعة عشر ميلا وتضم الكثير من القوى التي يقطنها العرب، ولوعورتها أصبحت ملاذا للفارين من الأندلسيين ينظر: ذانون طه عبد الواحد، المرجع السابق،ص27

[3]على مظهر: محاكم التفتيش في اسبانيا و البرتغال وغيرها.وفيه آخر صفحة لتاريخ المسلمين بالفردوس الإسلامي المفقود، الأندلس، المكتبة العلمية، مصر،1947م ،ص 20_21

[4]عبد الجليل التميمي، المرجع السباق ، ص 16

وهذه الأعمال الكبيرة التي قام بها الأسطول البحري الجزائري شجعت مسلمي غرناطة للاستنجاد بالدولة العثمانية[1]. كان للقلج علي والإيالة الجزائرية دور هام في الثورة المرسكية ودعمها هذا من جهة أما من الناحية الأخرى فنجد تحالف القوات الصليبية لتفويض الإسلام والحد من التوسع العثماني والوقوف في وجههم، منها التحالف المسيحي في معركة بريفرز والذي يضم كل من إسبانيا، البندقية، فرسان، مالطة وجنوب فلورنسا بمباركة الكنيسة البابوية تحت إمارة أندريا دوريا، وتشكل سنة 1538م مكون تقريبا منها ستمائة سفينة منها 308 سفن حربية و120 سفينة كبيرة للنقل و60ألف جندي[2].

فالبابا هوليس كلما شعر بالضغط من قبل العثمانيين استخدم سلطته الدينية واستنفر الدول الأوروبية من أجل توحيدها وإبعاد الحماس الديني والمعنوي لأجل الحد من التوسع العثماني[3]، أما الأسطول العثماني فكان بقيادة خير الدين وبمساعدة الرياح كان النصر حليف المسلمين وبعث القائد تورغوت لمطاردة السفن الفارَّة من المعركة واستولى على عدد منها وخسر الصليبيون نصف سفنهم وسيطر العثمانيون على شرق ووسط البحر المتوسط بدون منازع[4].

فبالإضافة إلى هذا تحالفت القوة البحرية الجزائرية إلى جانب العثمانية في حربها ضد مالطة1565م والتي تعود إلى حادثة اختطاف سفينة صغيرة تابعة لسواحل بلاد المغرب وسفينتين للشحن كانتا محملتين بالتجهيزات المرسلة من الأسكانة إلى درغوث بطرابلس[5]، فقد بعث السلطان العثماني سليمان القانوني برسائل إلى كل قادة الإيالات

[1] حيفي هلايلي،المرجع نفسه،ص ص 24_25

[2] مذكرات خير الدين بربروس،تر محمد دراج، المرجع السابق،ص 184

[3] كمال بوزريعي، معركة بروزة 1538م و الخلفية الفلسفية في تطوير البحرية العثمانية،ص 269

[4] محمد دراج ، المرجع السابق،ص ص 305_304

[5] المنور مروش، القرصنة الأساطير و الواقع،ج02، دار القصبة للنشر والكتاب، ص137

العثمانية يدعوهم فيها للمشاركة في حملة ضد مالطة وكان من بينهم حسن بن خير الدين حاكم الجزائر وقلج علي ودرغوث ريس وغيرهم[1].

وجُهِّزت الحملة فكان الأسطول بقيادة إمرة بيالي باش لكن السلطان أوصى بأن تكون القيادة لدرغوث ريس عند التحاقه بالحملة على مالطة لخبرته ومهارته[2].

ويعود سبب اختيار مالطةبسبب موقعها الاستراتيجي، وكونها مركزًا تنطلق منه الحملات الصليبية. وكما عبر عنه جون وولف الذي ترجمه أبو القاسم سعد الله "أن مالطة "عش الدبابير" في نظر الأتراك تماما كما كانت الجزائر شوكة في أعين الإسبان[3].

وتم حصار مالطة من 15 ماي إلى 12 سبتمبر1565م، إلا أن ضعف التنسيق وعدم وصول الدعم وقوة المدافعين أدى إلى وفاة درغوث ومنه فشل الحصار، فدبَّ الخوف من هجوم مسيحي، وبصفته (Kilich Ali))فأرسل قلج علي "كابودان باشا" لتهدئة الأوضاع[4].

لقد استغلت الدول الأوروبية بزعامة الإسبان فشل حصار مالطة وبدأ التفكير الجدي في حرب صليبية ونقلها لمنطقة بعيدة في مجالها الجغرافي ودعَّمتها الكنيسة بقيادة البابا بيوس الخامس(Pie r)[5].

---

[1]المنور مروش، المرجع السابق، ص137

[2]أنوري روسي، ليبيا منذ الفتح العثماني، تر خليفة التليسي، دار العربية للكتاب،1974، ص 229

[3]، المرجع السابق، ص78جون وولف

[4]المنور مروش، المرجع السابق،ص137

[5]فكاير عبد القادر، دور الأسطول الجزائري في معركةليبانتو1771، المركز الجامعي خميس مليانة، مجلة الموافق للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ،ع09، 2014، ص415

وبذل البابا بيوس الخامس جهدًا كبيرًا في توحيد صفوف المسيحيين. وخير دليل على ذلك ما احتوته الرسالة التي أرسلها للملك الإسباني في 08مارس1570م حيث جاء فيها ما يلي: "أن الإمبراطورية العثمانية قام بتوسعات كثيرة وبسبب هذا أصبحنا غير قادرين على اعتراضها ولذلك يجب على الأمراء المسيحيين الإتحاد من أجل تكوين قوة برية وبحرية لمجابهتها[1]، ونتج عن اجتهادات البابا إبرام حلف مقدس في 25ماي1571م شاركت فيه إسبانيا والبندقية ودويلات مسيحية، وعيَّن البابا دون خوان النمساوي قائدا عاما لهذا التحالف وتكون الأسطول من 317 سفينة من إسبانيا و البندقية والبابوثية ورهبان مالطة[2].

أما الجانب العثماني فقد عقد كبار القادة مجلسا واختلف الباشاوات في الآراء، ذكر علي باشا أولوج أن القوة البحرية وحدها لا تكفي لمجابهة الصليبيين ومنهم من رجَّح الدخول مباشرة في الحرب حتى لا يظن الأعداء أنهم خائفون منهم[3].

وجهزوا أسطولا مكونا من 289 سفينة من الحجم الكبير والصغير بقيادة علي باشا ووقعت المعركة سنة 1572، وكل أسطول له تنظيم خاص به إلا أن الهواء كان يحرك الأمواج في صالح الصليبيين فكانت المعركة من أشد المعارك قوة وتحقق النصر وكان لصالح الأسطول المسيحي[4].

---

[1]ناصر بوشليق ، التنمية الدينية لمعركة ليبان التاريخية، مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية،مج07، ع2،2024،ص 1303

[2]فكاير عبد القادر، المرجع نفسه،ص 417

[3]حليم إبراهيم، تاريخ الدولة العثمانية، ص 100

[4]احمد رمضان أحمد،تاريخ في القتال البحري في البحر المتوسط العصر الوسيط(،35هـ_655هـ) (978_1571م)، وزارة الثقافة هيئة الآثار المصرية، القاهرة، 1986، ص 45_48

وهذه الهزيمة التي العالم الغربي المسيحي يحتفل بها ورُفع قائد الحملة دون خوان إلى مرتبة القديس وترجى البابا بيوس حكام أوروبا أن يتحدوا وينشئوا حربا صليبية أخرى لتصفية الوجود العثماني من أوروبا، أما فيما يخص العثمانيون فأرادوا إزالة الهزيمة بإعادة بناء الأسطول وتم منح لقب الفابودان للقلج علي باشا نظير مجهوداته في جمع شتات السفن بعد هزيمة ليبانتو و أحضر عددا من الأسرى[1].

وبهذا فإن تحالف الصليبيين قد سجل هزيمة في معركة بروزة ورسخ سيطرة البحرية العثمانية في البحر الأبيض المتوسط، وأدى قمح ثورة البشرات إلى ترسيخ السيطرة الإسبانية على الأندلس.

وأما فشل حصار مالطة الذي عزز مكانة فرسان القديس بوخا وقوى دفاعاتها فكانت خاتمته بداية انتصار الحلف الأوروبي في ليبانتو وقدرتهم على إلحاق خسائر بالعثمانيين، إلا أن هذا كله لم يحدث تغيرات إستراتيجية إذ سرعان ما أعاد العثمانيون بناء أسطولهم واستعادوا قوتهم البحرية.

المطلب 03: دور الزوايا والعلماء في دعم المقاومة

مثَّلت الزوايا والعلماء في الجزائر خلال القرن السادس عشر ركائز حيوية للبنية الاجتماعية والدينيةوأدَّت دورا محوريا تجاوز الوظائف التقليدية كالتعليم الديني والإرشاد الروحي، ففي ظل التهديد المتزايد الذي شكله التوسع الإسباني على السواحل الجزائرية برزت الزوايا كمراكز للمقاومة الفكرية والتنظيم الشعبي، كما أسهم العلماء في تعبئة الجماهير وتحفيزها على الدفاع عن الأرض والعقيدة[2].

[1] أحمد رمضان احمد، المرجع السابق،ص ص45_48

[2] جغلوة حدة، جهود الزوايا و الطرق الصوفية في تحرير بايلك الغرب خلال عهد الدايات1671_1830، جامعة غرداية، ص51

قد برز رجال الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر منذ القدم حيث ظهرت بوادرها الأولى في القرون الوسطى، وازدادت أهميتها خلال القرنين 15 و 16حيث برز الأولياء الصالحون،خصوصا فقهاء المذهب المالكي فقد تميزوا بالتسامح واللين، وعلى هذا الأساس نشأ التصوف[1]إذ لم يعد التصوف مجرد تجربة فردية، بل تحول إلى ظاهرة اجتماعية[2].

وتمثل القوى الروحية المسيطرة على سكان الأرياف باعتبارهم يشكلون الأغلبية لأن المرابطين مثّلوا نعمة أسبغها الله على الحكم العثماني لفرض وجوده على البلاد باعتبار هذه الفئة تمتلك القدرة على منع وقوع الحروب[3]، فالتصوف الإسلامي الصحيح هو الذي اتخذ من القرآن والسنة دستورا له يطبق تعاليمَهُما فهو النقي الخالي من البدع و الخرافة والذي يربي الأرواح ويزكي النفوس ويغرس الفضائل[4].

ومن نماذج الطرق الصوفية بالجزائر نذكر الطريقة القادرية التي تعتبر من أقدم الطرق التي دخلت إلى الجزائر وانتشرت بالغرب والجنوب الغربي، ويعود الفضل لانتشارها لمدرسة بجاية القادرية ومدرسة المنعة بالأوراس وزاوية القيطنة بمعسكر[5].

---

[1]التصوف ظاهرة متسعة المجال شاسعة الأبعاد، بحيث لم يصل أحمد لإلحاقه بها فالتصوف تيار روحي يسري في الأديان جميعها ينظر:أنا ماري شيمل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، تر محمد إسماعيل،سيد رضا حامد قطب، منشورات الحبصل ،1981، ص07

[2]جغلوة حدة، المرجع السابق، ص51

[3]حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق تع محمد العربي زبيري،منشورات(ANEp) ، ص57

[4]صلاح مؤيد العقبي، طرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، 2002، ص24

[5]مذكرة الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م إلى القرن ال12، للطالبة زهرة مسعودي، جامعة أدرار، 2010/2009، ص23

وهناك أيضا الطريقة الرحمانية التي تنتمي إلى الحاج محمد بن عبد الرحمان لقبيلة آيت إسماعيل بعد أن تعلم بزاوية الشيخ أوعراب بآيتإيراثن وانتقل إلى القاهرة حوالي سنة 1740، وأكمل دراسته بجامع الأزهر،كما تتلمذ على يد سالم النفراوي وعمر الطحلاوي وحسن الجدادي،انضم إلى الجمعية الدينية الحفناويى(محمد بن الصالح الحفناوي) وبنى زاويةً وأرسى قواعد الطريقة الرحمانية[1].

وأيضا التيجانية التي تُنسب إلى أبي العباس أحمد التيجاني المولود بعين ماضي، كان له نشاط صوفي هام في فاس، وأخذ التصوف عن الشيخ المبروك بوعافية و مولاي الطيب الوزان بالمغرب العربي وغيرهم من الشيوخ الذين كانوا سببا في منحه مبادئ الصوفية مثل: القادرية والشاذلية، الطيبية ،الناصرية ،الصديقية والخلوتية ، لذلك فالتيجانية هي نتاج للعديد من الطرق الصوفية[2].

والطريقة القادرية انتشرت في التل الوهراني وتفرعت عنها القادرية والعيساوية ولها 33 زاوية كما لها أتباع في بايلك التيطري[3].

[1]صالح عباد، المرجع السابق،ص39

[2]زهرة مسعودي، المرجع نفسه،ص 25

[3]ناصر الدين سعيدوني،عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مكتبة الإسكندرية، ص114

كما انتهج العثمانيون سياسة التقارب اتجاه المرابطين تمثلت في عقد التحالفات واستمالة المرابطين وشيوخ الطرق المرابطية لاحتوائهم، فتحالفوا مع أحمد بن يوسف الملياني الذي كان من أبرز متصوفي الطريقة الشاذلية[1]، وكان يروج لها في كامل القُطر عامةً والجهة الغربية خاصةً[2].

وظهرت أسماء لامعة في عالم التصوف بالجزائر قبل مجيء العثمانيون أمثال عبد الرحمان الثعالبي، محمد الهواري، إبراهيم التازي، أحمد بن عبد الله ومحمد بن يوسف السنوسي. وفي العهد العثماني أحمد بن يوسف الملياني، محمد فغول، محمد بن شعاعة، محمد التواتي والبجائي. فازدهرت الحركة الصوفية بمجئ العثمانيين إلى الجزائر لأن الترك في تكوينهم الديني كانوا من أتباعها، فالطريقة البكداشية كانت تقودهم وتؤثر فيهم وتحميهم ويدينون لها بالولاء وانتشرت هاته الأخيرة عندهم مثل النقشبندية والقادرية والمولوية وغيرها.

وقد رحَّب العثمانيون بالمرابطين وقد شعر هؤلاء أن أقرب الناس إليهم هم رجال الدين والتصوف فتم بناء الأضرحة والقبان فلا نكاد مدينة أو قرية دون زاوية[3] أو أضرحة ومشاهد[4]، واستطاعت هذه الطرق أن تملأ الفراغ الروحي الثقافي الذي كان يعيش فيه الريف

[1]أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500_1830، دار الغرب الإسلامي، ط01، ج01،ص210

[2]،مختار جبار، الحضور الصوتي في الجزائر في العهد العثماني، مجلة التراث العربي، اتحاد وكتاب العرب في سوريا ع57،1994، ص02

[3]تطلق الزاوية على البنايات ذات الطابع الديني والثقافي وتقام فيها الصلوات الخمس، فضلا عن الدروس التي كانت تلقى على الطلاب و المردين فهي تأوي المتجولون ودار تطعم المسافرين ومدرسة يقصدها الطلاب للشيخ يُنظر: عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، موفر للنشر ،ج01،2002، الجزائر، ص148

[4]أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص468

نتيجة انعزال الحكام وارتباط الفقهاء بالمدن فكانت وسيلة تأطير قادرة على جمع السكان وحفظ مصالحهم وتوجَّب همهُم في التصدي للغزو الأجنبي باعتباره واجبا دينيا[1].

وقد أثر التصوف إيجابا بالجزائر عموما وتلمسان خصوصا حيث كان يعرف بآثار الاحتلال وتجنيد الناس ضد المعتدين على السواحل، ويتم إنشاء الرباطات لصد تلك الهجمات، فكان المتصوفون يجوبون أسوار القلاع ليلا لإيقاظ الحراس لمواجهة الأخطار الخارجية ويتلون القرآن بصوت مرتفع لزرع الطمأنينة بين الناس وينشرون الأمن بين المسافرين والتجار ومد يد العون للفقراء والمعوزين ويخففون من حدة المشاكل بين الناس بالنصح والإرشاد ويشجعون العلم والتعليم لذا نجد أغلب المتصوفة علماء وفقهاء وهم الذين لعبوا دورا كبيرا في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر وإعطاء مصداقية وشرعية للمواقف السياسية التي كان ينتهجها الأتراك العثمانيون، فكان عروج وخير الدين يرجعون لآراء العلماء لتذليل الصعاب و إعطاء صبغة دينية للجهاد وكذا إصدار فتاوى شرعية في السلم والحرب[2]، ويحثون على الجهاد ضد الإسبان مثل محمد بن آقوجيل والعالم الأديب محمد القرومي الذي رأى في المنام أن وهران ستنفتح بإذن الله وغيرهم[3].

[1]ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص113

[2]بسام كامل عبد الرزاق تنقدان: تلمسان في العهد الزياني،إشراف هشام أبو رميلة،2002،ص168

[3]أبو القاسم سعد الله،المرجع السابق،02، ص 202_204،

كما نظم محمد التواتي قصيدة نبَّه فيها الأهالي بخطر الإسبان:

يا أهل وهران انظروا نظرة شفقة – لبلدتكم من قبل أن تتردى

فلا تهملوا أمر الأعادي فإنهم – بحال اجتماع واتفاق وشدة مرساكم

ولا يحمي مرساكم ضعاف رجالكم – ولا البدو بل تحمية أهل الجزيرة[1]

إلا أن الظروف الدولية منذ القرن الثامن عشر قد تغيرت فقلَّت مغانم البحر وتم إبعاد الحظر المسيحي[2] الأمر الذي أدى إلى قيام العديد من المؤتمرات والعصيان بعد إرهاق السكان بالإتاوات مما اضطر الحكام إلى مواجهتها بالقوة[3].

لقد قام العثمانيون بالعناية بالمرابطين فكانوا يعظمونهم ويتبركون بهم ويطلعونهم على خططهم، فقد تميزت السياسة العثمانية باستمالة شيوخ القبائل والزوايا والمرابطين لكسب تأييدهم ونجحوا في ذلك مع الحفاظ على امتيازاتهم، فالعاطفة الدينية التي كانت أقوى العوامل التي قرَّبت الطرفين وقدَّمت لهم القلوب بالمحبة والطاعة[4]. وحظيت الجزائر بتسمية المحروسة لأن العناية الإلهية وصلوات الأولياء الصالحين ودعاء الفقهاء قهرت أقوى القوى بالعالم[5].

[1] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص37

[2] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي،الجزائر في تاريخ العهد العثماني،ج04

[3] صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين، دار العلوم ،عنابة، 2002، ص109

[4] جميلة معاشي، المرجع السابق،ص122

[5] مجهول: سيرة المجاهد خير الدين في الجزائر، تتق تح تع عبد الإله حمادي،ص19

المبحث الثاني: دور القادة المحليين والبحَّارة العثمانيين في المقاومة:

المطلب01: دور الإخوة بربروس في تحرير الجزائر

بعد استشهاد عروج قرر خير الدين أن يغادر الجزائر إلا أن أعيانها وشيوخها وعلماءها طبلوا منه عدم الرحيل لحاجة البلاد له، فعرض عليهم فكرة إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية بما فيها صَلاحٌ له وللشعب فوافقوا لما في ذلك من وجود قوة تحميهم من الإسبان فأرسل خير الدين سفيرا في هذا الشأن إلى السلطان سليم الأول فقام بضَمِّ الجزائر لإمبراطوريته وجعل خير الدين حاكما عليها و أذن له في صكِّ العملة وصارت الجزائر سنة 1518 إيالة عثمانية متمتعة بالاستقلال الداخلي[1].

لقد أثار دخول الجزائر تحت النفوذ العثماني قلق إسبانيا فأعادوا الهجوم على الجزائر بالتعاون مع سلطان تلمسان أبي حمو الثالث الذي أعادوه إلى عرشه بعد قضائهم على عروج[2] فجهَّز الإسبان حملة كبيرة تعبيرا بفرحها على موت عروج وطمعا في توسُّعٍ أكثر، فاتفق شارلكان مع أبي حمو ملك تلمسان على الاشتراك في توجيه ضربة حاسمة للجزائر وذلك بأن تقوم القوات الإسبانية بإنزال بحري في الوقت نفسه الذي تتقدم فيه قوات ملك تلمسان براً، وأبحر الأسطول من جزيرة صقلية باتجاه المرسى الكبير ثم بجاية وبدأت عملية الإنزال يسار الحراش[3].

---

[1] نور الدين عبد القادر،صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي،دار الحانة، الجزائر،2006، ص69

[2] أعمال الملتقى الدولي، الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مختبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط إلى نهاية العهد العثماني،الجزائر،2009، ص100

[3]، بسام العسلي، خير الدين بربروس(الجهاد البحري)، دار النفاش، 1470_1547م، ص ص 109_110،

حيث وصل الأسطول الإسباني في 1519م الموافق لِ 26_9هـ، مؤلفا من 40 سفينة تحمل خمسة آلاف مقاتل بقيادة دون ميغودي مون كاد نائب ملك صقلية، فانتشرت قواته في كدية الصابون وحدثت مناوشات من نائبه قونز آلفو مارينيو في بدء الهجوم أو التريث[1]وخلال هذه النقاشات استغل خير الدين الوقت في تنظيم جيشه وقام بتقسيمه إلى ثلاثة أقسام، وما هو إلا وقت قصير حتى هبَّت عاصفة قطعت حبال السفن وتحطَّمت بعضها فقام خير الدين بمباغتتهم وحقق انتصارا كبيرا وقتل4آلاف إسباني و 3آلاف وقعوا في الأسر وهُزِمت الحملة الإسبانية هزيمة ساحقة، كما قام خير الدين برفض أموالا طائلة لتحرير الأسرى الضباط وقان بإعدامهم.[2] فقد الإسبان معظم قواتهم وأسلحتهم وسفنهم وكان من أسباب هزيمتهم تأخر إمدادات الزيانيون المتحالفين معهم من تلمسان[3].

ونتيجة لتلك الهزيمة استعمل كل من الإسبان، الزيانيون و الحفصيين الدسائس والمؤامرات ولجئوا لاستمالة أحمد بن القاضي وكان على خير الدين مجابهة القوى الخارجية المتمثلة في القوة الإسبانية وظهور معارضين من داخل الجزائر من بينها معارضة ابن القاضي الذي كان في بداية الأمر حليفا ومساندا له وكان تمرُّده بتحريض من الأمير الحفصي أبي عبد الله محمد بن الحسن 1494_1526م[4].

حيث أبى ابن القاضي زوال سلطته فسعى للاستقلال بمملكته في كركو ببلاد القبائل وكذا تحميل خير الدين لابن القاضي مسؤولية وفاة أخيه عروج بحجة انه تخلى عنهن وانتقاما منه بعث له فرقة عسكرية بقيادة قارة حسن و أغار على ابن القاضي والذي لجأ إلى عنابة واحتمى بالسلطان الحفصي[5] .

---

[1]مبارك الميلي، المرجع السابق، ج03،ص54،

[2]نيقولاي إيفانون، الفتح العثماني، ص ص104_105

[3]يحيى بوعزيز ، المرجع السابق، ص17

[4]أسماء بلالي،مجلة روافد، المرجع السابق،ص53

[5]نجيب دكاني، المرجع السابق،ص67

ويقال أن قارة حسن اتفق مع ابن القاضي على اقتحام الحكم وتوزيع الأقاليم بينهما فدبَّ الشِقاقُ والخلاف بين قارة حسن وخير الدين[1] وبعدها خرج خير الدين لمواجهة السلطان الحفصي ظنًّا أنه سيتمكن منه لكن بتعاون ابن القاضي مع السلطان الحفصي[2]، والتقوا في سهل يسر[3].

وانهزم خير الدين وأصبح ابن القاضي حاكما على مدينة الجزائر طيلة 5 سنوات من (927هـ_1520م)إلى(932هـ_1525م) وخلال هذه الفترة نفر الناس من تصرفاته واشتكوا لخير الدين ببجاية هذا الأخير الذي لم يتلقى أي مساعدة من الدولة العثمانية فجهَّز نفسه وتحالف مع قبيلة بن العباس وحقق انتصارا على ابن القاضي وأعلن عساكر ابن القاضي تمردهم على زعيمهم وقطعوا رأسه وقدموه هدية لخير الدين[4] وبعدها حارب خير الدين قارة حسن وأمر بقتله ووصفه بأخبث الخلق[5].

وبعد أن بسط خير الدين سلطانه على مدينة الجزائر بكاملها عدا المناطق الخاضعة للإسبان كقلعة البنيون التي كانت تُعرقل حركة الملاحقة ورغبة منه في إبعاد هذا الجار المزعج[6] الذي بني من طرف الإسبان منذ 18سنة لمراقبة المدينة ووضع حدٍّ لنشاط قراصنتها[7].

بالإضافة غلى أن خير الدين كان بحاجة لميناء تلتجئ إليه السفن وتأخذ مئوناتها وتستعمله البواخر مُنطلقاً قوياً للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط[8] فأنذر خير الدين سكان

---

[1]عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ،ج3، ديوان المطبوعات الجامعية،1994،ط2، ص48

[2]أحمد توفيق المدني ،حرب 300مئة عام، المرجع السابق،ص212

[3]صالح عباد ، المرجع السابق،ص51

[4]ألتر عزيز سامح، المرجع السابق،ص84

[5]مجهول،سيرة خير الدين بربروس،المرجع السابق،ص137

[6]نيقولاي إيفانون، المرجع السابق،ص107_108

[7]نجيب دكاني، المرجع السابق،ص70

[8]مبارك الميلي، تاريخ الجزائر ج3، المرجع السابق،ص56

الحصن بعدم تعرض الأهالي لكن دون جدوى فجهز السلاح لمهاجمتهم وكان ذلك في 936هـ_1530م وكان برأسها الوالي دون مارنان ديفار قاص، واقتحم خير الدين الحصن وفتحه[1].

وبعد الانتصار ربط الجزر الصغيرة وبنى المرسى لحماية الميناء من الرياح واستطاع الأتراك و الجزائريون أن يتحكموا في حوض البحر الأبيض المتوسط مدَّةً طويلة كما عبَّر عنها مبارك الميلي في كتابه تاريخ الجزائر ج03 ، وبنى برج مراقبة عرف باسم برج الفناروردًا، وعلى تحطيم حصن البنيون جهَّزت إسبانيا حملة قادها أندريا دوريا سنة 1530م فكانت المقاومة عنيفة بزعامة خير الدين وانتصر فيها الجزائريون[2]، حيث هاجمت القوات الإسبانية المقدرة ب20 باخرة وتحمل 1500جندي مدينة شرشال وتمكنت من إطلاق الأسرى المسيحيين العاملين بالميناء.

لكن المقاومة الجزائرية تصدت لهم و أرغمتهم على الرجوع، وفي سنة 1534 وبمساعدة الباب العالي[3] توجه خير الدين إلى تونس واستولى عليها وقضى على سلطانها الحفصي وكذا مدينة بنزت عام 1535 للقسطنطينية وعينه قائدا عاما للأسطول التركي حتى توفي عام1546[4].

[1]عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق،ص 50

[2]محمد دراج، المرجع السابق، ص ص 268_269

[3]اسم أطلق في العصر العثماني على المقر الرسمي لرئاسة الوزارة في اسطنبول ابتدءا من 1518:ينظر مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة،ص62

[4]عمار عمورة، الموجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر،2001، ص ص 90_91

المطلب02: تفاعل السكان المحليين مع الوجود العثماني ودورهم في المقاومة

شكل تفاعل السكان الجزائريين المحليين مع الوجود العثماني نقطة قوة للمقاومة الجزائرية فقد وجد الأهالي في الإخوة بربوس حلفاء قادرون على مواجهة الأطماع الأجنبية لشجاعتهم وخبرتهم الحربية في البحر والبحر فقد توالت نداءات الاستغاثة بهم فنجد رسالة الشيخ الفقيه أبو العباس بن احمد قاضي الزواوي يقول "(إن بلادنا بقيت لكَ أو لأخيك أو للذئب)[1] وأيضا مجد التماسا آخرا (رب حماستكم للجهاد ولم تهزم أبدا إننا نعرف شجاعتكم ومضاء سلاحكم إذ أنكم استرجعتم قبل قليل مدينتي جيجل و بجاية إلى أصحابها الحقيقيين إن أسماءكم ستبقى خالدة إلى الأبد بانتصاركم الذي توج مشروعكم الشريف و الآن أنتم وحدكم الأجدر لتحريرنا من اضطهاد الكفار)[2].

فكان الجزائريون يتشوقون لملاقاة الإخوة بربروس وتخليهم من الإسبان وبوفاة عروج بربروس تولى أخيه خير الدين الحكم فطلب من الأعيان الذهاب للسلطان سليم بمصر واقتراح الانضمام تحت راية الدولة العثمانية و أخذهم هدايا له و سُرَّ السلطان بتلك الهدايا فوجه لهم رسالة شكر وتقدير ودعا لهم بالنصر و ازدادت العلاقة بين الطرفين بإرسال الهدايا منها عدَّة وعتاد حربي وسفن مزينين بالألماس في القبضة والتتويج بالانضمام.[3]

فمع الارتباط الرسمي بدأ التعاون الفعلي بمواجهة المد التوسعي الإسباني وعبَّر الجزائريون بفرحتهم إزاء انضمامهم للخلافة العثمانية وشارك الإخوة بربروس مهمة الدفاع عن السواحل ضد الإسبان.

[1] جميل بيضون وآخرون: تاريخ العرب الحديث،ص48

[2] شارل فيرو: المرجع السابق،ص99

[3] عزيز سامح إلتر، المرجع السابق،ص47

سواء في عهد الإخوة بربروس أو حتى رحيل خير الدين إلى إستانبول 1535م حيث خلفه حسن آغا و عمل على تحصين المدينة و أنشأ 31غليوطة ووطَّدَ النظام داخل الدولة الجزائرية وفي عهده شن شارلكان حملة على الجزائر سنة1541م شاركت فيها قوة مسيحية ضخمة وكان حسن آغا قد علم بها لذا استعد جيدا لها فحصَّن المدينة وشجع سكانها على الجهاد[1].

وبعث خيالة وصعدوا للجبل ليأتوه بحقيقة الحملة فاخبروه أنها عمارة كبيرة أخذت وجه الماء كله فتحصن حسن بحصن المدينة وجعل أهل الجزائر من العسكر و الأندلسيين دائرين بالأسوار متسلحين[2] وعرضوا على حسن تسليم مدينة الجزائر مقابل تعيينه حاكما عليها لكنه رفض ونزلت القوات على الضفة اليسرى من دار الحراش وفي الليل هجم الجزائريون وخلفوا خسائر مبهرة[3] ووقت الحرب برية وبحرية وصبت عليهم مدافع المسلمون وساعدتهم الرياح والأمواج وانتصروا[4]وكانت هذه الهزيمة ضربة موجعة للنفوذ الإسباني في الجزائر وأصبحت مدينة الجزائر مدينة لا تقهر[5].

وسار حسن آغا إلى مملكة كوكو في 1542 وتم إخضاعها دون قتال مع دفعها للضريبة السنوية ثم إلى بسكرة فخضعت له وعاد لقسنطينة حيث منح آغا قائد العشائر العربية الذواودة قفطان التولية على البدو تحت اسم شيخ العرب.[6]

---

[1]عمار عمورة،المرجعالسابق،ص 92

[2]بسام العسلي، المرجع السابق،ص222

[3]مبارك الميلي، ج03،ص 24_25

[4]بسام العسلي، المرجع نفسه ص229

[5]، تاريخ الجزائر الحديث،المرجع السابق،ص 38محمد خير فارس

[6]صالح عباد، المرجع السابق، ص 69

ثم توجه إلى تلمسان التي يحكمها محمد السابع الذي كان مواليا للأتراك وسلم لهم قلعة المشور لكن الكون دالكوديت حاكم وهران لم يعجبه الأمر فتحالف مع الإسبان و القبائل المتحالفة معهم لشن حملة ضد تلمسان، ودخل المدينة ونصَّب مولاي عبد الله الملك وعاد لوهران[1]، واستمرت الصراعات بين أفراد الأسرة الحاكمة بمساعدة الأتراك أحيانا وأخرى بمساعدة الإسبان فمثلا استطاع محمد السابع أن يلحق الهزيمة بأخيه أبي زيان أحمد الثالث في معركة شعبة اللحم سنة 1543م فالأول مدعوم من طرف الإسبان والثاني بقوات حسن آغا والتي انتهت بقتل محمد السابع من طرف سكان أنكاد الذين احتمى بهم، وباعتلاء حسن باشا بن خير الدين 1544_1546 م وضع كل طاقته في الناحية الغربية[2] ودخل سنة 1545 تلمسان دون مقاومة في سنة1546 جهز حملة لتلمسان لكن عند سماعه بخير وفاة والده رجع لمدينة الجزائر[3]و عُيِّن بايلر باي خلفا لوالده[4].

وخلفه صالح رايس 1552_1556م حيث واجد سكان تقرت وورقلة وفرض عليهم إتاوة ثم رجع غلى الجزائر محملا بغنائم معتبرة و أخضع قسنطينة عام 1555[5] وتوجه لتلمسان وسيطر عليها وجعلها تابعة للدولة العثمانية و أنهى الوجود الزياني بالمنطقة[6] .

[1]صالح عباد،المرجع نفسه،ص70

[2]أسماء أبلالي، المرجع السابق، ص58

[3]محمد دادة:تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي العثمانيون والمغاربة في القرن ال16 ، مجلة عصور الجديدة،ع2، 2011،ص196

[4]محمد مبارك الميلي، المرجع السابق،ص75

[5]مبارك الميلي،المرجع السابق،ص81

[6]فاضل بيات: الدولة العثمانية في المجال العربي،دراسة تاريخية في الأوضاع والإدارة في ضوء المصادر العثمانية، مركز دراسات الوحدة العربية،ط1، بيروت،2007 ، ص539

كما لا ننسى جهود صالح رايس بالمؤامرة التي دبرها أبو حسون على بن محمد الملك المعزول لاسترجاع الدولة المرينية بالمغرب، حيث اعتقله عند رجوعه بالبرتغال التي قصدها من أجل الدعم إلا أن بوحسون عرض على صالح رايس مساعدته بالدخول للمغرب فاعتقله وجهز جيشه للدخول للمغرب واصطدم بالجيش ووقعت المعركة وانتصر فيها صالح رايس ونصَّب أبو حسون على المغرب لكن قوات الشرق قتلت أبي الحسون[1].

واستطاع صالح رايس تعزيز قواته سنة 1555 برجال من إمارة كوكو حيث كان محاصرا من طرف الإسبان ومعاونيهم فاستطاع اقتحام الحصن الإمبراطوري وبعض الحصون وصارت بجاية في وضع مزري وتتهاطل عليها المدافع. وهذا ما عبر عنه حاكم بجاية دون ألتروي بيرالتا في الرسالة التي بعثها إلى وصية العرش الإسباني الأميرة خوانا ابنة شارلكان وجاء فيها (لقد أرسلت لسموكم قبل هذا أبلغكم بالحال التي أصبحت عليها المدينة و أنها بحاجة للنجدة، فلا توجد أية جدران حصينة تستطيع أن تصمد أمام المدفعية القوية والتي لم نر مثلها من قبل والتي نصبهاملكالجزائر وأن المقاومة صارت صعبة...) الرسالة مؤرخة في بجاية 1555/09/17م[2].

وتوفي صالح رايس وخلفه حسان قورصو فواصل عمله في حصار وهران ومحاولة فتحها إلى أن جاءه أمر بالتخلي عن الحصار[3] وبعد تمرد الانكشارية عقب وفاة صالح رايس ولم يفلح في فتحها لكن استطاع فتح مستغانم 1558 وقتل الكثير من الإسبان منهم حاكم وهران وفتح مدينة المسيلة 1559[4].

---

[1] عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ الجزائر عامة، دار المعرفة،ج1962،1،ص221

[2] زير محمد مختار: صالح رايس بطل الوحدة والجهاد 1556/1555م، مجلة الدراسات التاريخية، مج2،ع4،2020،ص98

[3] عمار عمورة، المرجع السابق،ص221

[4] أسماء بلالي، المرجع السابق،ص62ص63

المطلب 03: تأثير انضمام الجزائر للدولة العثمانية على استمرار المقامة ضد الإسبان.

لقد منح انضمام الجزائر للدولة العثمانية غطاءا سياسيا معتبرا، مُغَيِّرا بذلك هيئة المقاومة ضد الإسبان من محلية بسيطة إلى صراع عثماني إسباني في الجهة الغربية للبحر المتوسط وساعدها في طرد الإسبان من عدة موانئ مثل: بجاية، مستغانم وجيجل وحتى فيما بعد وهران ولو كانت في فترات طويلة، وإنشاء الأسطول البحري الذي شكَّل العمود الفقري للدولة الجزائرية و أصبحت قوة بحرية هامة، وتحكمت طائفة رياس البحر تنظيمه، تمويله وتسيير العمليات الحربية[1] واستطاعت فرض هيمنتها على السواحل، وتمحي موانئها طيلة ما يزيد عن ثلاثة قرون، ومن بين أسباب قوة البحرية الجزائرية الموقع الجغرافي وطول الشريط الساحلي والمعاملة الحسنة والتسامح اللذان يلقاهما البحارة الأوروبيون الراغبون في العمل بالبحرية الجزائرية المعروفون بالأعلاج، وهذا ما جعلهم ينالون مناصب عليا بالدولة الجزائرية بالإضافة للمهارة الحربية واستعمال أساليب حربية كالغارات المفاجئة وامتلاك سفن متطورة كالإخوة بربروسة عروج وخير الدين ورغون باشا وصالح رايس،علي يبتنين و الرايس حميدو[2].

ويعتبر مجيء الإخوة بربروسة إلى السواحل الجزائرية ومهم حوالي 14 سفينة هي بداية تأسيس الأسطول الجزائري[3]، وتم إنشاء ورش بناء السفن وإصلاحها واتخذوا من الموانئ الجزائرية كشرشال ودلس وجيجل قواعد للأسطول وقسمت لوحدات[4].

---

[1] حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني،ط1،دار الهدى، عين الميلية، الجزائر،2007،ص47

[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر،ط م 2، 2009،ص39

[3] يحيى بوعزيز، المرجع السابق،ص40

وكان المسلمون يديرون الورش الخاصة بصناعة السفن ويساعدهم المسيحيون وتتواجد هذه الأخيرة في بجاية وجيجل وغيرها لتوفير الخشب أما الحبال والصواري والشراع وأدوات أخرى فكانت تستورد من الدول الأوروبية[1].

واعتمدت الجزائر على التجهيزات والمواد المحلية في البداية ثم عقدت الاتفاقيات والمعاهدات التنافسية مع البلدان الأوروبية للتزود بقطع غيار وغيرها، وكذا الدولة العثمانية أيضا كانت تمدها بمستلزمات الأسطول التي تحتاجها الجزائر[2]إذ تمكن البحارة الجزائريون في الفترة مابين1528_1584 من شنِّ 33غارة بحرية على السواحل الإسبانية و أنقذوا خلالها عدد لا بأس به من المسلمين و أشهرها غارة رايس إلي ساعد حوالي 60 مسلما، وشهدت البحرية نشاطا واسعا وذلك للالتحاق عدد معتبر من البحارة الأندلسيين وكذا مجيء جماعات من أوروبا للحصول على غنائم الذين أسلموا فيما بعد واستقروا بالجزائر وهم من جنسيات مختلفة،إغريق، مايورقيس وكرسيك، وقليل منهم فرنسيين وإسبان[3] ولم يكن البحارة الجزائريون يهاجمون إلا السفن المعادية للجزائر ويلتزمون بالقانون الدولي للبحر[4].

وكان للبحرية الجزائرية تنظيم داخلي ولطائفة رياس البحر[5] مهمة التنظيم والتي تتكون من سكان الجزائر والأعلاج من الأندلسيين أيضا، ورغم اختلافاتهم فإنهم يشكلون وحدة

---

[4]مجهول مذكرات خير الدين بربروسة، المرجع السابق،ص133

[1]بن أشنهوا، المرجع السابق،ص 99

[2]يحيى بوعزيز،المرجع السابق،ص407

[3]ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني،ج4،ص44

[4]منور مروش: القرصنة الأساطير و الواقع، دار القصبة للنشر،ج2، ص10

[5]رياس الحر هم موكلون من غيرهم للقيام بهذه المهمة ولا يبين حربا على أعداء الدين والوطن فرايس البحر ضمن طابع شرعي لنشاطه أما القرصان فهو الحر في النهب ولا يعترف بأي سلطة فيهاجم السفن دون تمييز :ينظر: دون وولف،الجزائر و أوروبا1500_1830، عالم المعرفة، دار الرائد،الجزائر،ط خ ،2009، ص179

منظمة للأسطول[1]وللبحرية إدارة تديرها تتكون من: وكيل الحرج وهو بمثابة وزير البحرية ويهتم بالشؤون البحرية والعلاقات الخارجية، وقائد المرسى وله مهمة المراقبة والتفتيش وجلب المعلومات الدولية[2]، القابوردان وهو الرئيس العام للأسطول عند خروجه لعرض البحر، الورذيان باشا ويشرف على تنظيم الأعمال التي يقوم بها الخدم في الميناء ويعلن العدد الذي تحتاجه كل سفينة منهم[3]. وللسفينة طاقم خاص يتكون من الضباط وصف الضباط من بينهم الباشا رايس ورايس العسة ورايس التريك وسدر رايس ولكل منهم دور مهم يقوم به[4].

لقد كان عمل البحرية مختصا في الجهاد البحري في ضل الصراع الديني لكنه تطور وصارت البحرية تمثل النشاط الاقتصادي وتوفير مدخول القرصنة الإسلامية التي تكون في ميزانية الدولة[5]، ولعبت البحرية الجزائرية دورا كبيرا في الصاع العثماني ضد الإسبان حيث شاركت في تدعيم الأندلسيين المضطهدين وقام خير الدين بإنقاذ عدد منهم وتمكن من صد حملة أندري دوريا 1533، كما قام بفضل أسطوله بفتح تونس 1535[6]، ومجموعة معارك أخرى قام بها وكان النصر من حليفه ونذكر منها حملة هوغو ديمونكاد وحملة شارلكان واستطاع المشاركة في معركة بريفر واستطاع أن يجهز حوالي 150 سفينة بقيادة درغوت وحسن باشا لخبرتهم العسكرية[7].

---

[1]علي خلافي، الجزائر في العهد الحديث،ص170

[2]حنيفي هلايلي ،بنيةالجيش،المرجع السابق،ص51_54

[3]حنيفي هلايلي،التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني،ص264_265

[4]علي خلافي، المرجع نفسه،ص180

[5]زيتوني حمزة إسحاق، تطور مهام البحرية الجزائرية،ص124

[6]محمود السيد الدغيم،أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية،الحضارة الإسلامية وعالم البحار،منشورات إتحاد المؤرخين العرب،القاهرة،1994، ص26_27

[7]جون جوليوس نورويس ،البحر الأبيض المتوسط تاريخ بحر ليس كمثله بحر،تر طلعت السايب، دار الهنداوي،ص346

وكانت الغزوات البحرية منذ ذلك الوقت تستند إلى بحارة محنَّكين أضفوا قوة لجانب البحرية وانهزم الصليبيون بخسارة كبيرة تحطمت فيها أكثر من 100 سفينة صليبية وهربت باقي السفن و أدى انتصار الأسطول الإسلامي في هذه المعركة إلى سيطرة البحرية الجزائرية خصوصا العثمانية على البحر المتوسط[1].

بالإضافة غلى المشاركة في حصار مالطة وقد اختاروها لموقعها الهام وقربها من إفريقيا وانتهت بانتصار الصليبيين ومعركة ليبانت التي اجتمعت فيها البحرية الجزائرية والأسطول العثماني[2]، واجتمعت الأساطيل الصليبية المتحالفة بقيادة دون جوان ملك النمسا وانهزم فيها الأسطول الإسلامي ولم يوفق علي باشا[3] إلا بإنقاذه الجناح الأسير وسفنه الأربعين[4]. وترقى إلى منصب أعلى وبعدها جدد الأسطول الجزائري و أصبح أقوى من سابقه والأكثر نجاحا في الأسطول العثماني وهذا من مظاهر القوة البحرية خاصة خلال القرن 16. كذا قيامهم بجلب الأسرى المسيحيين الذين يقدمون خدماتٍ اجتماعية داخل مدينة الجزائر مُوَزَّعين على البايلكات ومنهم من أعلن إسلامه وآخرون أطلِق سراحهم مقابل فديةٍ أضف إلى ذلك الغنائم البحرية التي كانت الدولة تأخذ منها الخمس والباقي يوزع على أصحاب السفن، كما فُرِضت إتاوات وهدايا على الدول المتعاملة معها تجاريا مقابل السماح لها بالملاحة والتجوال في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط[5].

---

[1]أحمد سالم، إستراتيجية الفتح العثماني،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية،ص210

[2]أتوري روسي، المرجع السابق،ص232،

[3]أصله باش بمعنى الرأس باللغة التركية وشاع استعمالها كلقب من ألقاب التشريف في العهد العثماني كان يمنح في البداية لكبار ضباط الجيش و البحرية ثم أُلق على الوزراء :ينظر،مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة،ص125

[4]كارل بروكلمان،تاريخ الشعوب الإسلامية ،تر أمين فارس،منيرالبعبلكي، دار العلم للملايين،ط5، بيروت،ص508

[5]ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية،المرجع السابق،ص ص 139_140

يتضح من خلال ما سبق أن المقاومة الشعبية الجزائرية كانت شيئا أساسيا يبين صمود البلاد أمام الأطماع الإسبانية ومدى قدرة السكان على تنظيم صفوفهم للمقاومة وكان للإخوة بربروس أهمية للانتقال من المقاومة المسلحة إلى مشروع سياسي وعسكري أكر دقَّةً وتنظيمٍ وفعاليةً واستمراريةً، وهو ماسكن صمود الجزائر أمام الضغوط الأوروبية طوال القرن السادس عشر، وهذا ما وضَّحه لنا مؤرخون عرب وجزائريون الذين حاولوا توثيق المقاومة الشعبية ضد الإسبان وتقرير الوعي الوطني وترسيخ روح الصمود في وجدان الأمة.

الفصل الثالث: قراءة في رؤية مبارك الميلي للمقاومة الشعبية الجزائرية ضد الإسبان القرن16

المبحث الأول: تحليل منهج مبارك الميلي في دراسته للمقاومة.

نبذة عن حياته ومسيرته.

يعد مبارك الميلي شخصية بارزة لعبت دورا هاما في رفع الوعي الوطني، وهو الدور الذي لم نقدره حق قدره بالتأكيد. هذا هو الشيخ مبارك الميلي (من مواليد 1898)، الذي توفي في 9 فيفري1945، والذي كان في النصف الأول من القرن العشرين ناشطاً جداً في النهضة الجزائرية. نتذكر رجلاً كان أحد المؤسسين الرئيسيين لجمعية العلماء الجزائريين في عام 1931، ولكنه كان أيضًا محاضرًا لامعًا في الدين والأدب، فضلاً عن كونه وطنيًا ومؤرخًا متحمسًا[1].

كان من أوائل من نظروا إلى التاريخ الوطني، إن لم يكن أولهم، في بداية هذا القرن، أي في مرحلة كانت الحركة القومية في حاجة فيها إلى كل الوسائل المساعدة لمواجهة تهديدات نزع الصفة الشخصية والمناورات الخبيثة التي نفذها المستعمر الفرنسي وعملاؤه. وُلِد مبارك بن محمد الإبراهيمي، المعروف باسم مبارك الميلي، عام 1898 في دوار أولاد مبارك، لعائلة تُعرف باسم الحاج رباح. تيتم الشاب الميلي فأخذه أجداده في رعايته ثم سلموه إلى أعمامه عندما توفي جده الحاج رباح. تعلم القرآن الكريم وأصول القراءة والكتابة على يد معلمه الأول. الشيخ أحمد بن سي لخضر اليسرى. وقد أثر المعلم على الطالب بصفاته العالية من اللطف والكرم، وطور في الميلي ذوقاً للبحث والمعرفة[2].

عندما بلغ الميلي الرابعة عشرة من عمره أدرك أنه لا يزال أمامه الكثير ليتعلمه، فشرع في رحلة المعرفة ضد رغبات أعمامه الذين أرادوا إبقائه قريبًا منهم. متعطشًا للمعرفة، يأخذ لوحه ويطرق أبواب الميليا. ثم أخذته رحلته الثقافية إلى قسنطينة سنة 1916، حيث تلقى

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص709.

[2] المرجع نفسه، ص710.

علومه على يد الأستاذ الجليل عبد الحميد بن باديس الذي كان يدرّس في جامع سيدي لخضر. يمر عام. مدفوعا دائما برغبة التعلم، ذهب الشاب الميلي إلى تونس حيث التحق بجامعة الزيتونة لمدة ثلاث سنوات.

وفي عام 1924، عاد مبارك الميلي إلى قسنطينة، مسلحًا بمعرفة فكرية راسخة، حيث كانت تنتظره مسيرة مهنية كمعلم عظيم. ولقد قرر الفاضل الميلي، بما يتمتع به من خبرة كبيرة ومعرفة واسعة في مختلف التخصصات، أن يكرس حياته لخدمة شعبه ودينه ولغته ووطنه. سيستفيد قسطنطين من معرفة المعلم الذي سيقدم، منذ عام 1925، أساليب تدريس جديدة من خلال قيادة فصلين دراسيين. واحدة في سيدي بومعزة والأخرى في سيدي فتح الله. إلى جانب عبد الحميد بن باديس، كان الميلي أول معلم يبتكر ويفتتح التعليم الحديث في النظام المدرسي للمدرسة الجزائرية الناشئة[1].

في عام 1925، غادر مبارك الميلي مدينة سيدي راشد ليستقر في الأغواط لمدة سبع سنوات. وهنا استقبله أهل الأغواط بكل احترام وتقدير. تسعد الواحة الجميلة طفل الميليا الذي يستفيد من الأماكن الرائعة للتأمل والتأمل. أليس أول مجلد عن تاريخ الجزائر سيولد تحت سماء الأغواط؟ وقد قدم له كل من الدهينة وبن عبد السلام وبن موسى المساعدة، وبفضل تعاونهم تمكن الميلي من إنشاء مدرسة الشباب، أول مدرسة حديثة، والتي استقبلت عند افتتاحها ما يقرب من مائة شاب من الأغواط تحت القيادة المستنيرة للشيخ مبارك الميلي، الأستاذ الذي يقدم الدورات والمؤتمرات بوضوح وإيجاز.

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج7، ص711.

بفضل صفاته كمدرس متمرس، صمم الميلي وطوّر كتيبات في القواعد، والتصريف، والأدب، واللاهوت، وغيرها من المواد الدراسية. وفي الأغواط أيضًا، قام الشيخ الميلي، بالتعاون مع بوعلي بن عزوز، بتأسيس جمعية الخيرية، وهي جمعية من شأنها أن تقدم خدمات هائلة للمحتاجين والأيتام، والتي من شأنها أن تلهم روح التضامن في وقت كان الفقر يطرق كل باب تقريبًا من أبواب الشعب الجزائري. ولم يكل الميلي عن إلقاء الدروس والمحاضرات ليلاً في مسجد البلدة خمس مرات في الأسبوع. وقد شملت خطبه مختلف مجالات الدين: الفقه، وتفسير القرآن، والسنة.

لقد جذبت هذه المحاضرات التي ألقاها رجل ذو ثقافة واسعة جمهوراً من كل الأعمار، وذلك بسبب المواهب التعليمية التي كان يتمتع بها الميلي، ولكن أيضاً وقبل كل شيء بسبب إيمانه العميق ووطنيته المتقدة. وقد صرح العديد من الشخصيات التي عرفته بأنه لو اختار الميلي الاستقرار في الشرق الأوسط لبرز بين كبار رجال الفكر الإسلامي وتاريخ الحضارة العربية الإسلامية، مثل شكيب أرسلان وأمير البيان. "لقد أذهلنا بنضجه العالي، ودقة أحكامه، ومنطقه الذي لا يقبل الخطأ[1].

«ثراء وصفاء ذهنه»، هكذا قال عنه أحمد توفيق المدني. خلال إقامته في الأغواط، قام الميلي بزيارات متكررة إلى الجلفة وبوسعادة وآفلو لإلقاء محاضرات وندوات تحدى من خلالها الكسل الفكري والظلامية والخرافات والجهل. تبدو آثار الطريق من الميلي إلى الأغواط واضحة جدًا. إن هذه المدينة، خلال إقامة الميلي، سوف تكون قد عرفت بالفعل عصرها الذهبي وواحدة من أجمل وأخصب فترات تاريخها من حيث نشر المعرفة والتأثير الثقافي.

[1]متشاط عبد الغني، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تدوين تاريخ الجزائر مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني أنموذجا، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، المجلد7، العدد2، 2022، ص29-30.

غادر الشيخ مبارك الميلي الأغواط سنة 1933، إثر خلافات مع الإدارة الاستعمارية. وسوف يترك ذكريات دائمة هناك. ولكنه لن يودع أصدقائه وتلاميذه الأغواطيين قبل أن يتكفل أولا برحيل مجموعة من طلابه إلى جامعة الزيتونة لمواصلة دراستهم وإتقان معارفهم، وهي الرغبة التي كان عزيزة عليه لإتمام مهمته التربوية. وكان الميلي من المؤسسين الرئيسيين لجمعية العلماء سنة 1931م، وهو حدث ذو أهمية بالغة في الحياة السياسية والثقافية لبلادنا.

شغل منصب أمين المال في الوقت الذي أنشأ فيه مدرسة في مسقط رأسه الميلية سنة 1933، بعد عودته من الأغواط. بفضل مثابرته الدائمة، سيقدم الميلي لأعمدة جريدة البصائر تأملات مثيرة للاهتمام للغاية. وكانت كتاباته التي تناولتها المجلات والصحف ذات تأثير كبير في العديد من بلدان العالم الإسلامي. "لقد أثار الميلي إعجابنا بوضوح أفكاره وموضوعيتها، التي كان يدعمها بحجج لا يعرف سرها إلا هو"، هذا ما قاله رفيقه الشيخ العربي التبيسي، المدير السابق لمعهد بن باديس وشهيد ثورة التحرير الوطني[1].

وكان الميلي يتمتع بسمعة طيبة وتقدير كبير بين المثقفين العرب في ذلك الوقت. داخل جمعية العلماء، سيقوم الميلي بمهام جبارة، إما كمدرس أو محاضر أو حتى بصفته صحفيا وباحثا في التاريخ. ويقال أيضا أن الميلي كان يجسد مع توفيق المدني الجناح النضالي لجمعية العلماء حيث أن كل منهما أعطى الحركة الوطنية أقلاما لامعة بتوقيعه على أعمال تتناول التاريخ الوطني بصفة خاصة، ردا على مؤرخي الاستعمار الذين أطلقوا العنان للكذب والتزوير.

بحلول عام 1937، بدأ المرض يضعف الميلي. لكن رغم جلسات العلاج التي تطلبتها صحته، حافظ الشيخ على نفس وتيرة النشاط للقيام بالمهام الموكلة إليه من قبل الجمعية.

[1] المرجع نفسه، ص29.

وكان لا يزال يقيم في ميلة، ويسافر مرة في الأسبوع إلى قسنطينة للإشراف على توزيع وإصدار جريدة البصائر، وكان يحضر كل الاجتماعات التي تعقد في الجزائر العاصمة. كما رد الميلي على رسائل كثيرة من الطلبة والتلاميذ يطلبون التوضيح في هذا المجال أو ذاك من مجالات الحياة السياسية والأدبية والاجتماعية والعلمية والدينية[1].

المطلب1: منهجيته في الكتابة التاريخية.

نعالج من خلال هذا الفصل مسألة كتابة وإعادة كتابة التاريخ القديم للجزائر في سياق استعماري ويركز الكتاب بشكل خاص على مبارك الميلي الذي نشر بين عامي 1928 و1932 كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث في مجلدين الهدف من إلقاء الضوء على الموضوع هو فهم المعنى الذي أراد مبارك الميلي أن يعطيه لقصة المقاومة الشعبية الجزائرية ضد الإسبان في إطار "تاريخ الذاكرة"، الذي "لا يهتم بالماضي في حد ذاته، بل يهتم فقط بالماضي كما نتذكره"

اليوم، أصبح مبارك الميلي (1889–1945) معروفًا في الجزائر بكتاباته ونضاله داخل جمعية العلماء الجزائريين ضد الهرطقة المفترضة للطرق الصوفية ومع ذلك، فإن اسمه يُستشهد به بانتظام في الصحافة الوطنية باعتباره أول مؤلف كتب تاريخًا عامًا للجزائر باللغة العربيةوفي فيفري 2011، خصصت له مدينة ميلة مؤتمرا بمناسبة الذكرى السادسة والستين لوفاته، وهي المبادرة التي تكررت في العام التالي وكان هدف هذه اللقاءات هو رفع مستوى الوعي حول هذا الرجل وعمله لقد تم تقديم تاريخ الجزائر باعتباره تفكيكًا بارعًا للتاريخ الاستعماري ويثبت وجود الجزائر في التاريخ وبذلك يعتبر الميلي أول من طبق مبدأ تصفية

[1] بلقاسم ميسوم، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في التاريخ والمجتمع،،مبارك الميلي رجل الإصلاح ومؤرخ الجزائر، العدد1، 2007، ص148–149.

الاستعمار من التاريخ الذي كان عزيزاً على المؤرخ والفيلسوف الجزائري محمد شريف ساحلي[1].

ولكن سواء خلال هذه المؤتمرات أو في المقالات المنشورة في الصحافة المكتوبة، فإن تاريخ الجزائر في العصور القديمة والحديثة لا يتم تقديمه بشكل دقيق في أغلب الأحيان، يتم ذكره ببساطة في قائمة منشوراته إن طبيعة خطاب الميلي حول التاريخ القديم للجزائر لم يتم تحليلها بشكل حقيقي أبدًا وهذا الجانب من عمله إما تم إغفاله أو تلخيصه بصيغ تؤكد على الصفات العلمية للعمل.

ومن الجدير بالذكر هنا أن القوميين الجزائريين أصروا منذ الاستقلال على الهوية العربية الإسلامية للجزائر أدت أسلمة شمال إفريقيا إلى تأسيس الأمة الجزائرية وفي النصوص الرسمية الأولى للدولة الفتية، لم يرد ذكر البربر. وتنص ميثاق الجزائر لعام 1964 على أن "الشخصية العربية الإسلامية تظل هي الأساس للشخصية الجزائرية". وفقا لدستور عام 1963 فإن الإسلام هو دين الدولة واللغة العربية هي اللغة الرسمية والوطنية ومع ذلك، خلال الفترة الاستعمارية[2]، أشاد المؤرخون المقربون من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أو جزء منها، مثل توفيق المدني (ت. 1983) ، بتاريخ الجزائر العريق

وقد خصص المؤرخون العرب فصولاً طويلة للتاريخ القديم للشعوب غير المسلمة تتناول السجلات العالمية تاريخ الفرس والبيزنطيين والرومان والإغريق... إلا أن "المغرب العربي من المناطق التي لم يُبدِ المؤرخون العرب اهتمامًا حقيقيًا بها" من الضروري هنا التأكيد على موقع المغرب العربي الهامشي والهامشي في التركيبة العامة للعالم الإسلامي

[1] محمد الشريف ساحلي، تخليص التاريخ من الإستعمار، تر، محمد هناد، منشورات الذكرى الأربعون للإستقلال، 1965، ص19.

[2] علاوة عمارة، الشيخ مبارك الميلي ومواجهة المشروع الفرنسي لكتابة تاريخ الجزائر، مجلة المواقف. جامعة مصطفى اسطنبولي، معكسر, العدد ,03 ديسمبر ,2008ص 94

فالكعبة، من وجهة نظر إسلامية، هي مركز الكون وقد وقع التاريخ المقدس للبشرية في الشرق الأوسط أما المغرب العربي، فهو غائب عن تاريخ الوحي علاوة على ذلك، كان فتح شمال أفريقيا صعبًا وطويلًا، مما جعل هذه المنطقة مكانًا غريبًا ومقلقًا[1]

للوهلة الأولى، قد يفترض المرء أن اختفاء الذاكرة القديمة في شمال أفريقيا يتعلق فقط بالمصادر المكتوبة وأن التقاليد الشفوية قد حافظت على ذاكرة الماضي ما قبل الإسلامي ومع ذلك، عندما تقوم لوسيت فالنسي بتحليل إشارات أصل القبائل المغاربية (الناطقة بالبربرية أو الناطقة بالعربية) التي جمعها المسافرون الأوروبيون والإداريون الاستعماريون بين عامي 1790 و1830، فإنها تكتشف قصصًا لها نفس البنية: "الهجرة واستقرار أحد الأسلاف، وتوسع أحفاده؛ وفي بعض الأحيان، الانتشار في مناطق أخربهذه القصص تجعل القبيلة أفقها الوحيد[2].

لذا فإن النسيان هو أمر عام إلى حد ما ومع ذلك، ورغم أن هذا الأمر مؤكد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فإننا لا نستطيع تعميم هذا البيان على فترات سابقة في الواقع، وعلى النقيض من وجهة نظر الترجمة التاريخية الإسلامية المعاصرة، فإن سكان شمال أفريقيا لم يتحولوا إلى الإسلام بشكل جماعي أو يصبحوا عرباً في وقت قياسي تسلط الأبحاث الأكاديمية الحديثة الضوء على استمرار المسيحية واللغة اللاتينية في المغرب العربي لعدة قرون بعد الفتح العربي.

وسيستمر هذا النسيان فيما يتصل بالذاكرة التاريخية للعصور القديمة في المغرب العربي حتى بداية القرن العشرين ويشير هواري تواتي إلى أن التأريخ في شمال إفريقيا ظل،

---

[1] احمد مريوش، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، جزء 01,مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط1, 2013, ص319-326.

[2] Lucette Valensi à l'œuvre. Une histoire anthropologique de l'Islam méditerranéen, Saint-Denis, éditions Bouchène, 2002, p308.

حتى نهاية القرن التاسع عشر، خاضعاً للأطر الفكرية التي تطورت خلال الفترة الإسلامية الكلاسيكية لا يمكن تفسير التاريخ إلا من خلال الآيات التي يختارها الله لإظهار إرادته العليا الثابتة إن الانتصار العسكري والكوارث الطبيعية هي علامات التدخل الإلهي ولكن هذا لا يمنع المؤرخين المسلمين من انتقاد تفسير بعض الأحداث التاريخية أو التشكيك في مصداقية بعض المصادر التاريخية[1].

وفي بداية القرن العشرين، انفصلت منشورات الأعمال باللغة العربية عن النموذج التاريخي التقليدي. تتمحور هذه المنشورات حول مسألة الجزائر، أو القطر الجزائري، وهو مصطلح غاب عن التأريخ في القرن التاسع عشر. وهكذا فإن نشر المجلد الأول من كتاب مبارك الميلي "تاريخ الجزائر القديم والمعاصر" سنة 1928، ثم كتاب توفيق المدني "كتاب الجزائر" سنة 1932، يكشف عن علاقة جديدة مع التاريخ من جانب المثقفين العرب الجزائريين[2].

قدمت المؤسسات الاستعمارية الفرنسية والإسبانية نفسها في وقت مبكر جدًا باعتبارها الوريث المباشر والطبيعي للإمبراطورية الرومانية في شمال إفريقيا وتم مقارنة الجنرالات الفرنسيين المنتصرين بالقادة الرومان الأسطوريين الذين هزموا المتمردين مثل يوغرطة وتاكفاريناسوفيرمس وغيرهم، ومنذ دخول إسبانيا إلى الجزائر[3]سعت إلى الاستفادة من تجربة القدماء، ومن باب أولى، من تجربة الرومان، في أفريقيا ويبدو أن المقاطعات السابقة للإمبراطورية الرومانية كانت مواقع لتجربة استعمارية ناجحة تحتاج إلى تحديث وهكذا من باب اسطورة البربر وفي هذا الصدد يقول مبارك الميلي:" وكان عصر الموحدين هو شباب

[1] القدس العربي، الباحث الجزائري هواري تواتي: «الإنسان كمفهوم عربي» من إعادة الابتكار إلى الرِدة، حوار: فارس لونيس ترجمة: عائشة بلعابيد، 19 نوفمبر 2024.

[2] –ابو القاسم سعد الله، ابحاث وأراء في تاريخ الجزائر، الجزء ,01دار المعرفة للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر,2009, ص412.

[3] مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص204.

العصر البربري. اتحد فيه سكان المغرب اجمع تحت راية واحدة وبلغوا من حسن الإدارة وانتشار المعارف ورقي الحضارة مبلغا عظيما ثم اخذ هذا العصر في الهرم. حتى غلب الإسبان على كثير من السواحل وجاء الأتراك فقضوا على ما بقي للبربر من استقلال. والحق أن البربر يومئذ ليسوا بأهل للحكم كما أن الأتراك ليسوا بأهل للسياسة."، شرع التأريخ الاستعماري الإسباني في إبراز أفريقيا الرومانية والبيزنطية، أي شمال أفريقيا اللاتينية والمسيحية. وكان من واجب فرنسا مساعدة السكان الأصليين على إعادة اكتشاف تراثهم القديم[1].

ومنذ القرن التاسع عشر، تأسست العديد من الجمعيات العلمية في فرنسا والجزائر ويهتم هؤلاء بشكل وثيق بشمال أفريقيا، "بترجمة وتنسيق ونشر الوثائق التي تشكل عناصر أساسية في التأريخ المستقبلي للجزائر، سواء تعلق الأمر بالعصور القديمة، بما في ذلك عصور ما قبل التاريخ، أو الفترة الإسلامية من أيديولوجية عنصرية انتشرت حتى بداية القرن العشرين، أنتج الرحالة والجغرافيون ثم علماء الإثنوغرافيا وعلماء الأنثروبولوجيا، الذين كانوا في بعض الأحيان مترجمين عسكريين، نصوصًا ومقالات حول "أصول ولغات الشعوب المختلفة، بما في ذلك البربر".

ستعمل هذه المجتمعات العلمية على تطوير "أسطورة القبائل" من خلال منحها الشرعية العلمية. لقد جعلت هذه الأسطورة البربر والعرب عرقين مختلفين تماما، واقترحت تقييم الأولين في علاقة مع الثاني. وهكذا، كان يُنظر إلى البربر باعتبارهم سكانًا أصليين لم يتغيروا كثيرًا بمرور الوقت، أو عِرقًا قريبًا بطبيعته من الغرب، أو حتى من أصل جرماني أو سلتي كانوا مستقرين، وكان يُنسب إليهم تنظيم اجتماعي ديمقراطي ومعادٍ لرجال الدين إلى حد ما وعلى العكس من ذلك، كان يُنظر إلى العرب، المرتبطين بالعرق السامي، على أنهم عوامل للفوضى والاستبداد، بسبب حياتهم البدوية وتعصبهم الديني وهكذا تمّ دمج أسطورة

[1] المرجع نفسه، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، ص22.

القبائل بالفعل في قانون الفكر الأنثروبولوجي وتم الاعتراف بها باعتبارها بديهية في الدوائر الفكرية الأخرى وحتى لو لم تؤيد الحكومة الاستعمارية هذه الإنتاجات التي ميزت القبائل والعرب تحت غطاء العلم ولم تأخذها حتى في الاعتبار، فإنها تلاحظ أنه "في نهاية القرن التاسع عشر، دخلت الأسطورة القبائلية إلى الأعمال الشعبية المتعلقة بشمال إفريقيا، سواء كان المحتوى مؤيدًا للقبائل أم لا[1].

المطلب2: مصادره التاريخية وتحليله للأحداث.

المصدر الأول للمعلومات بالنسبة للميلي هو أعمال المؤرخين الفرنسيين: ستيفان جيزيل، إميل فيليكسغوتييه، جورج مارسيه، إرنست مرسييه، إرنست كاريت، لويس رين، ألبرت ماليه. وبما أن الميلي لم يكن يتقن إلا اللغة العربية فقد اضطر إلى اللجوء إلى الترجمة وقد تم تزويده بهذه المعلومات من قبل زملائه، مثل عمار دهينة وتوفيق المدني.

كما يستشهد الميلي بالمؤرخين العرب على نطاق واسع، مثل ابن خلدون خاصة فيما تعلق بالبربر منهم قبيلة زواغة إذ يقول: "وتعددت قبائلهم ومواطنهم قال ابن خلدون :على ساحل تلمسان وارشقول، ولعل ارشقول هي القرية التي ذكرها البكري بلفظ ارشقول عند مصب نهر تافنا في البحر. وذكر البكري من حصونهم حصن هنين على البحر، واما مغيلة فانها تقطن بالشاطئ الايمن من شلف عند مصبه في البحر ولهم مدينة على البحر تدعى " آسلن " بساحل تلمسان، ويساكن مغيلة إخوتهم من ملزوزة ودونة وكشانة. ومن ساحلهم اجتاز عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس وبذر بذور حضارة كانت من بعد المثل الأعلى"[2].

بالإضافة إلى ابن الأثير، والبكري وأما فيما يتعلق بالبربر فإن ابن خلدون هو المرجع الأمثل ويعتبر هو من استطاع الحفاظ على الذاكرة الأصيلة لأصل البربر. وقد استغل

[1] مبارك الميلي، ج3، المصدر السابق، ص27.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص106.

المؤرخون الفرنسيون الذين استشهد بهم الميلي أيضًا كتابات ابن خلدون والتاريخ العربي لبناء نظرياتهم حول أصل القبائل البربرية في المغرب، كما رأيناوهكذا فإن الميلي، من خلال تناولها لأطروحات والأنساب الموجودة في النصوص العربية من العصور الوسطى، لا يحيد عن المنهج الذي اتبعته المدرسة التاريخية الفرنسية. وفي أغلب الأحيان، يعارض ابن خلدون في مسألة أصول البربر. وهذا أسهل بالنسبة له، لأن التاريخ، مع ابن خلدون، أصبح علماً فكرياً وعقلانياً يرتكز على البراهين "التي تسترشد استنتاجاتها بثوابت السلوك الإنساني أو القيود الطبيعية[1].

كان أحد أهداف مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني هو تزويد المعلمين في شبكة المدارس الإصلاحية التي يتم تشكيلها حاليًا بموسوعة تاريخية موسوعية تمكنهم من تقديم تدريس متجانس وموحد لتاريخ الجزائر العربية الإسلامية ولم تعد هذه المدارس مدارس قرآنية أو زوايا تقليدية، بل أصبحت مدارس حديثة مستوحاة من النموذج المدرسي الفرنسي. وفي هذه المؤسسات، سوف يعمل تاريخ الميلي وكذلك أعمال المدني كمحركات للأساطير وبعبارة أخرى، فإنها تشكل إطارًا يسمح للمجموعة بتعريف نفسها في علاقتها بنفسها وفي علاقتها بالآخرين. إنهم يقدمون مجموعة من أساطير الأصل، التي توفر القيم والرموز، مما يسمح بإنشاء الشرعية السياسية للمجموعة (عرقيا وثقافيا) والحفاظ عليها أثناء إصلاحها من الداخل[2].

تهدف التأريخية الإصلاحية إلى إعادة إحياء الأمة الجزائرية وإعادة تأسيسها، ليس من وجهة نظر قومية (دولة قومية)، ولكن بمعنى "مجتمع الذاكرة" الذي يوجد عبر الزمن وله خصوصياته الثقافية والإثنية وتشارك في إنشاء مجال السيادة الثقافية داخل المجتمع

[1] علاوة عمارة، المرجع السابق، ص100-101.

[2] مبارك الميلي، المرجع السابق، ج3، ص41.

الاستعماري. إنها تستولي على الخطاب الاستعماري[1] من أجل تقويضه في حين تعمل على تعزيز مفهوم مبتكر وحديث لهوية الجزائريين لا ينبغي الخلط بينه وبين الغرب فهو يسمح لنا بالابتعاد عن الرؤية المهزومة والمنقوصة القيمة للماضي لقد كان لزاماً على العلماء أن يتغلبوا على صدمة الغزو الاستعماري، بما فيها الغزو الإسباني الذي اعتبره سببا في تحولّ العلاقات الجزائرية الإسبانية إلى العداء الصريح ذو الإمتداد العريق في ذاكرة الشعب الجزائري والذي يعود إلى زمن التواجد الإسلامي الأمازيغي في بلاد الأندلس[2].

ورغم محاولة التقارب من خلال معاهدة عام 1786، التي باءت بالفشل في نهاية المطاف، هُزمت القوات الإسبانية المتمركزة في وهران في بداية القرن الثامن عشر على يد جيش الباي محمد الكبير. أدى هذا الانتصار إلى توقيع معاهدة الاستسلام ، والتي كانت لها سلسلة من العواقب الوخيمة على كل من الجزائر وإسبانيا، وكذلك على مكانة الجزائر الدولية وعلاقاتها مع الدولة العثمانية.

نلاحظ أنّ مبارك الميلي يحاول أن يعلل علاقة الهيمنة/الخضوع التي فرضها النظام الاستعماري ويتضمن هذا كتابة قصة مجزية تتناقض مع الماضي الوحشي مثل الذي قدمه إميل فيليكسغوتييه في كتابه "القرون المظلمة للمغرب وتتعارض هذه الأعمال أيضًا مع

[1]إن عملية إنتاج هذا الخطاب، وخاصة في مجال التأريخ، تشكل عملاً ثقافياً وفكرياً مهماً في إعادة تصور المجتمع. يشكل هذا العمل الأساس لتشكيل الحقائق التي عادة ما يتم إخفاؤها في ثوب خادع من "الصحوة" أو "الولادة الجديدة" الوطنية. إن إعادة قراءة هذه العملية التي أقترحها تهدف إلى المساهمة في المشروع العالمي للفهم النقدي لـ "الأمة" باعتبارها "شكلاً أيديولوجياً فعالاً" وليس باعتبارها "حقيقة اجتماعية" معطاة أو مبنية في تطور خطي ومتماسك وغائي إن إعادة القراءة هذه من شأنها أن تسمح لنا بفهم أفضل لعمليات وتأثيرات الاستعمار الدائمة، والتي، بعيداً عن أن يتم "هزيمتها" بشكل نهائي من قبل القومية المناهضة للاستعمار، لا تزال تؤكد تعريفاتها القاطعة، وتشعر بها في إعادة تشكيل الذات المستعمرة، ينظر،

BENCHENEB, Saadeddine, 1956, « Quelques historiens arabes modernes de l'Algérie », *Revue Africaine,* 100 : 475-499.

[2] مبارك الميلي، المرجع السابق، ج3، ص29.

ذكريات أصلية أخرى يعتبرها الميلي بلا قيمة، وبالتالي يؤكد نفسه ضمن خانة المتحدثين الشرعيين باسم الجزائريين[1].

وهكذا أصبح ماضي الجزائر موضوعا للصراعات والمنافسات الإيديولوجية إذا كان مبارك الميلي، يتبنى أسطورة القبائل(البربر) كما بناها الاستشراقا لإستشهاد بمراجع شارل أندري جوليان ، ليضعها في خدمة تثمين ماضي الجزائر ومستقبل خال من الانحطاط المنسوب إلى الإمبراطورية العثمانية، والأدبيات الأيديولوجية الاستعمارية لأفريقيا اللاتينية ورأي مبارك الميلي بهذا الخصوص هو دعوة إلى شراكة صادقة بين المستعمر والمستعمر حتى يمكن تحقيق إمكانات كل منهما[2].

المطلب3:مدى موضوعيته في دراسة المقاومة.

حتى وإن كان ذلك يعني رفض المكون العربي والإسلامي للتراث المغاربي، فإن الإسلام كان جزءاً من الماضي بالنسبة لمبارك الميلي، وكان الوقت قد حان لكي يحرر الجزائريون أنفسهم وفي كتابه يدحض فكرة الجزائر العربية والإسلامية ويدافع عن تاريخ بربري محض، فيقول:" وكانت سياستهم سياسة تنفير فلم يقبل البربر على حضارتهم. فلم يذهبوا حتى أنسوا البربر ما أخذوه عن الفينيقيين من غير أن يعوضوهم شيئا ينفعهم في حياتهم الاجتماعية"[3] وشمال إفريقي متوسطي وينتهي الكتاب بخطاب حول نهاية القمع وآفاق مستقبل متوسطي للجزائر المتحدة مع القوة الأوروبية.

وبالنسبة للميلي لا ينبغي النظر إلى الإستعمار الإسباني أنه متعارض مع التيارات الاستيعابية أو القومية التي تدافع عن قيم الحداثة وكما يشير، فإن جوهر المقاومة لم يكن صداماً بين التقاليد/الإسلام والحداثة، بل كان نقاشاً حول نوع الحداثة السياسية والثقافية التي

[1] المرجع نفسه، ص34.

[2] علاوة عمارة، المرجع السابق، ص99.

[3] مبارك الميلي، المرجع السابق، ج1، ص374.

ينبغي على الجزائريين ومنافسيهم أن يتبنوها ويطبقوها ويرى الميلي أن على الجزائريين أن ينطلقوا إلى العمل وأن يستغلوا قوة الحداثة من أجل التحرر[1].

وهكذا نستطيع أن نفهم بشكل أفضل السياق الذي وضع فيه الميلي آراءه بخصوص مقاومة الغزو الإسباني وهو يستجيب للتأريخ الاستعماري والذكريات التاريخية المتنافسة، ويقترح في الوقت نفسه التنديد بالإخفاقات والانحرافات التي سقط فيها المجتمع الإسلامي إنه سلاح فكري ضد التأريخ والإثنولوجيا الاستعمارية، وعلاج لفقدان الذاكرة والجهل لدى الجزائريين ومن ثم فهو يقترح استعادة الذكريات، "رحلة إلى الذاكرة من أجل التذكر" ويهدف إلى إلقاء الضوء على الحاضر في ضوء أصوله. بمعنى آخر، إعادة إحياء ماضي الشعب الجزائري وإعادة اكتشاف وجوده[2].

[1] فريدة مقلاتي، مبارك بن محمد الميلي ومنهجه في رسالة الشرك ومظاهره، مجلة الذاكرة، المجلد9، العدد2، 2021، ص32-33.

[2] علاوة عمارة، المرجع السابق، ص100.

المبحث الثاني: تقييم طرح مبارك الميلي مقارنة بمؤرخين آخرين.

المطلب1: مقارنته بمعاصريه أحمد توفيق المدني أنموذجا.

أحمد توفيق المدني ومبارك الميلى أول من وضع تاريخ الجزائر باللغة العربية، والذي بدأ في العصور القديمة واستمر إلى العصر المعاصر ومع الاستقلال، أصبحت أعمالهم من كلاسيكيات التأريخ القومي وحتى يومنا هذا، يتم الاستشهاد بهؤلاء المؤلفين في كتب التاريخ المدرسية وبفضل عمل جيمس ماكدوجال، أصبح لدينا الآن رؤية أدق وأكثر تفصيلاً لكتابات توفيق المدني، وخاصة فيما يتعلق بالعصور القديمة في شمال أفريقيا خلال الفترة الاستعمارية، أنتج أكبر مجموعة تاريخية باللغة العربية عن الجزائر ولد في تونس حوالي عام 1899 لعائلة جزائرية ، وواصل دراسته في الزيتونة بتونس حيث التقى ابن باديس ومبارك الميلي. وفي عام 1925م أدت أنشطته السياسية إلى طرده إلى الجزائر من قبل السلطات الفرنسية شارك مع ابن باديس والميلي في تأسيس جمعية العلماء الجزائريين وأصبح مسؤولاً عن مجلة الشهاب (التي كان يديرها ابن باديس) ورئيساً لتحرير مجلة البصائر، وهي الصحيفة الرسمية للجمعية نشر عدة مقالات عن تاريخ الجزائر في هاتين المجلتين[1].

في مقدمة المجلد الأول من تاريخ الجزائر، يعترف الميلي بأنه لم يكن هناك ما أعده للشروع في مشروع صعب مثل تتبع تاريخ الجزائر من أصوله:كنتُ طوال فترة دراستي بعيدًا عن هذا العلم (التاريخ) – كرفاقي – لا أُبالي بالكتب المتعلقة به، ولا بالمجموعات

[1]متشاط عبد الغني، جهود جمعية العلماء الجزائريين في تدوين تاريخ الجزائر مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني أنموذجا، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، المجلد7، العدد2، 2022، ص30.

المتعلقة به. وذلك لأنني، في دراستي، لم ألتقِ بمن يستطيع أن يُلفت انتباهي إلى هذا العلم الثمين بطريقة تُشعرني بخصائصه وتُشجعني على التعمق فيه[1].

في مقال نشر سنة 1957 في مجلة "ريفو أفريكان"، يقترح سعد الدين بن شنب إلقاء نظرة على بعض المؤرخين العرب المعاصرين، ومن بينهم مبارك الميلي وكتابه "تاريخ الجزائر". ويشير إلى أن عمل الميلي هو من النوع الحديث: "إن هذه الحداثة ليست كاملة بالتأكيد ولكن كتاب الميلي يتوافق مع مفهومنا للتاريخ". في الواقع، من وجهة نظر شكلية، فإنها تستعين بأساليب الكتابة من التأريخ العلمي الفرنسي للعصر الاستعماريوهكذا فإنه يشير في كثير من الأحيان إلى مراجعه في شكل حواشي، ويوضح عروضه في بعض الأحيان بصور المعالم أو الخرائط. وهو يعطي كتابه شكل عمل يحترم القواعد الأكاديمية الحديثة أكثر مما يفعل توفيق المدني، الذي تعد كتبه بمثابة كتيبات للوطني العربي المسلم الجزائري، بأسلوب كتيبات في كثير من الأحيان، والذي "لا يهتم بالاعتبارات المنهجية، ولا يبدي اهتمامًا كبيرًا بإظهار احترامه لقواعد وأعراف البحث العلمي[2]."

وأما التاريخ العثماني فقد كان للمؤرخ أحمد توفيق المدني قصب السبق فيه مبدعا ومجتهدا، فألف كتاب حرب الثالثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، تطر فيه لسقوط أخر ممالك الإسلام في الأندلس سنة 1492م وما أعقب ذلك من تهجير وتقتيل للمسلمين من طرف محاكم التفتيش العام التي قادها القساوسة والرهبان الكاثوليك. وبينما كانت الممالك الإسبانية تتقوى لطرد بقايا فلول المقاومة التي نظمها الأندلسيون بقيادة محمد بن أمية بجبال البشرة

[1] أمال معوشي : أمحد توفيق المدني حملة عن إسهاماته الثقافية ودوره الدبلوماسي في الثورة التحريرية ، جملة البحوث التارخيية ، المجلد 3 ، عدد1، 2019 ص 193-195.

[2] James McDougal, « Soi-même » comme un « autre ». Les histoires coloniales d'Ahmad Tawfîq al-Madanî (1899-1983), revue des mondes musulmans, 95-98, 2002, p95-110.

بشتاوي، كانت بلاد المغرب الإسلامي ترزخ تحت نير الحروب الأهلية بين الإمارات التي ورثت دولة الموحدين في هذه الأثناءكان نجم الدولة العثمانية قد برز[1].

انتقل الكاتب بعدها للحديث عن عزم الملك فرديناند نقل الحرب للجنوب من أجل الإستيلاء على المغرب الأوسط لقمع كل تحركات الأندلسيين، الذين بدأت فلولهم تتجمع بالجزائر لتنظيم المقاومة ضد الغارات الإسبانية والتي توجت بسقوط المرسى الكبير سنة 1505م، ثم سقوط وهران سنة1509مص42-38 .)سار الكاتب على هذا النسق في سرد أحداث هذه الحقبة وكيف استطاع البحارة الأندلسيين التمركز على السواحلوطرد الإسبان منها[2].

وهذا لا يعني أن الميلي لديه نظرة علمانية للتاريخ، على العكس من ذلك. ويظل القرآن والتقاليد الإسلامية بمثابة مراجع تشكل رؤيته لتاريخ البشرية، ولكن إذا استعنا بحجة من ابن خلدون استشهد بها غابرييل مارتينيز جروس، فإن "نص الله لا يمكن أن يخطئ فيه أحد، ولكن قراءة البشر ليست كذلك" [3]إذا كان هناك تناقض بين العلم والقرآن، فهذا لا يمكن أن يكون إلا بسبب سوء تفسير من قبل الناس في العالم من حولهم، أو بسبب سوء قراءة القرآن. وهكذا، يلاحظ لمنور مروش، أن الميلي ينتقد "ميل القدماء إلى نقل كل ما قرأوه أو سمعوه دون تحقق. وبالمثل، ينتقد أولئك الذين يكتفون بسرد الوقائع دون التأمل في أهميتها، وبالتالي إهمال ما يشكل روح التاريخ إنه إذن تاريخ قديم للجزائر خالي من كل الأخطاء التي ارتكبها القدماء والمعاصرون ومن كل تحريفاتهم، وهو ما يقدمه لنا الميلي.

[1] محمد بوطيبي، بواكير كتابة تاريخ الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين (كتابات أحمد توفيق المدني أنموذجا)، مجلة تاريخ العلوم، مجلد5، العدد3، 2020، ص206.

[2]حمدادو بن عمر، تحرير مدينة وهران 1792م في كتابات المؤرخ غالم محمد، ندوة نقاشية وهران: مدينة المعرفة والتعايش، CRASC، 28 فيفري 2021، ص5-6.

[3] المرجع نفسه،ص 49

ومن خلال التركيز على العصور القديمة، تمكن الميلي في تأريخه من تأكيد الهوية العرقية للجزائريين واستمرارها عبر الزمن، وفي الوقت نفسه تقديم أفريقيا اللاتينية باعتبارها حقبة غابرة بالتأكيد وتبني قصته مبدأ التوافق بين كل الأحداث التي عاشها البربر في العصور القديمة، إذ يقول:" وهكذا أريد ربط الجزائر) بوصفها قلب المغرب العربي، اذ يمكن عبرها التأثير على مجموع الشمال الأفريقي (بالتاريخ الفرنسي خاصة والتاريخ اللاتيني بصورة عامة. يقول لوى بيرتران في كتابه دماء الجذورما ان يضعف الشرق، حتى تسقط أفريقيا الشمالية في الفوضى التي لازمتها منذ الولادة أو تخضع للهيمنة اللاتينية التي وفرت لها قرونا من الازدهار، والتي اعطتها، لأول مرة، شبه وحدة، كما زودتها بشخصية سياسية وثقافية"[1].

لقد نجح المؤلف في إعطاء معنى لأحداث وجوده. هذه الأحداث، التي قد تبدو طارئة، أو متنافرة، أو حتى نتاجًا للصدفة، تتحول بأثر رجعي إلى ضرورة، إلى مصير ويظهر بوضوح اعتناق البربر للإسلام.

المطلب2: أثر كتاباته في تشكيل الوعي السياسي التاريخي الجزائري.

بعد الاستقلال، أصبح عمل الميلي أحد المراجع في التأريخ الرسمي للجزائر ولكن تاريخه القديم للجزائر سرعان ما حل محله عمل عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام منذ نهاية تسعينيات القرن العشرين، فضلت الدولة الجزائرية الإشارة إلى الأمازيغية طالما أنها لا تهدد الهوية الإسلامية للبلاد.

ونجد ذلك حاضرا في ما كتبه وأدلى به في الخطاب الرسمي حول التاريخ القديم للجزائر، وهكذا في الفصل المخصص للحياة الاجتماعية والسياسية في المغرب في العصور القديمة، يُطلب من الميلي أن يصف شخصية البربر: "فخورون بأصولهم، مرتبطون بمكان

[1] مبارك الميلي، المرجع السابق، ج1، ص30.

ميلادهم، مخلصون لكلمتهم" ونجد هذا أيضًا عندما يتعلق الأمر بتسليط الضوء على فشل البيزنطيين في احتلال المغرب العربي بأكمله، وخاصة المناطق الداخلية من البلاد، مثل منطقة الأوراس على سبيل المثال، وذلك بسبب المقاومة القوية التي كانوا سيواجهونها من جانب السكان الأصليين وهذه كلها دلائل على أن الأطروحات التي دافع عنها كان من الممكن أن يعاد تدويرها من قبل التأريخ الجزائري ولا تزال تؤثر على الذاكرة التاريخية لبعض الجزائريين[1].

ويتحدى الميلي المعايير التي يستخدمها المؤرخون الفرنسيون لتحديد الشعوب والأعراق (باستخدام مصطلح ذلك العصر اللغة، والسمات الجسدية، وطريقة اللباس أو حتى الأدوات والفخار. ويرى الميلي أن هذه المعايير لا تسمح بتعريف شعب، وإنما العلم الوحيد الصحيح هو علم الأنساب. إن الكلمة العربية التي تعني شعباً تشير في الواقع إلى مفهوم التشعب/التشعب ومن وجهة نظر التقاليد العربية فإن الشعب هو مجموعة من التفرعات الأنسابية التي يعود أصلها إلى سلف واحد إن التكوين العرقي لشعب ما يتطلب وجود شخصية مؤسسة، أي "السلف الأول" الذي يستطيع الأحفاد تتبع نسبهم إليه في حالة السكان الأوائل للجزائر، بالنسبة للميلي كان قطب بن يافت، وبالنسبة للبربر كان مازيغ بن كنعان[2].

وبالنسبة للمؤلف، البربر والعرب ليسوا أبناء عمومة. حتى اللغة البربرية (الأمازيغية) لا علاقة لها بالعربية: "لا يوجد في التاريخ أي أثر يدل على أن اللغتين امتزجتا، ولا على أن اللغة البربرية مرتبطة بلغة سامية أخرى أو هندو أوروبية. ومع ذلك، فإن البربر يشتركون مع العرب في الرغبة في الحرية والاستقلال، فضلاً عن صفات الشجاعة والضيافة والدفاع عن المظلومين ومن الجدير بالذكر أيضًا أن الميلي يرى أن بعض القبائل البربرية مثل كتامة

[1] مبارك الميلي، المرجع السابق، ج1، ص80-81.

[2] المرجع نفسه، ص82.

وصنهاجة هي في الحقيقة عرب، ولابد أنها استوطنت شمال إفريقيا قبل ظهور الإسلام لقد أصبحت هذه اللغة بربرية بالكامل بمرور الوقت[1].

وفي هذا السياق تظهر فكرة العرق. وهذا يساعد على تفسير سبب تقدم بعض المجتمعات في حين يبدو أن مجتمعات أخرى ظلت بدائية، متجمدة في الزمن. إن المفهوم العنصري للتاريخ سيؤدي إلى فكرة الأمة "العنصرية" كمبدأ حصري للهوية وبالتالي فإن الأمة ممثلة بشعب كان موجودًا في الماضي البعيد وظلت خصائصه العنصرية/الإثنية دون تغيير على مر الزمن لقد مر هذا الشعب بمراحل عديدة من التطور أدت إلى تأسيس الدولة، وهي علامة مميزة لنجاح الأمة الحقيقية.

وخلال إقامته في الأغواط، قام الميلي بزيارات متكررة إلى الجلفة وبوسعادة وآفلو لإلقاء محاضرات وندوات تحدى من خلالها الكسل الفكري والظلامية والخرافات والجهل. تبدو آثار الطريق من الميلي إلى الأغواط واضحة جدًا. إن هذه المدينة، خلال إقامة الميلي، سوف تكون قد عرفت بالفعل عصرها الذهبي وواحدة من أجمل وأخصب فترات تاريخها من حيث نشر المعرفة والتأثير الثقافي.

وكان الميلي يتمتع بسمعة طيبة وتقدير كبير بين المثقفين العرب في ذلك الوقت. داخل جمعية العلماء، سيقوم الميلي بمهام جبارة، إما كمدرس أو محاضر أو حتى بصفته صحفيا وباحثا في التاريخ. ويقال أيضا أن الميلي كان يجسد مع توفيق المدني الجناح النضالي لجمعية العلماء حيث أن كل منهما أعطى الحركة الوطنية أقلاما لامعة بتوقيعه على أعمال تتناول التاريخ الوطني بصفة خاصة، ردا على مؤرخي الاستعمار الذين أطلقوا العنان للكذب والتزوير[2].

[1] مبارك الميلي، المرجع السابق، ج1، ص99.

[2] علاوة عمارة، المرجع السابق، ص97.

من بين المثقفين الجزائريين، المدافعين عن الشخصية الجزائرية، ونشطاء الثقافة الوطنية، نذكر علي الحمامي، وأحمد توفيق المدني، ومحمد شريف ساحلي، ومصطفى لشرف... وإذا كان الحمامي يقول لنا إن "التاريخ للشعب كالروح للجسد"، فإن الميلي يؤكد بدوره: "التاريخ مرآة الماضي ومقياس الحاضر. إنه دليل وجود الشعوب، وكتاب قوتها، ومبعث ضميرها، وصوت وحدتها، ومنطلق تقدمها"[1].

المطلب3: مدى تأثير روايته في الخطاب التاريخي

ومن أهم الخطوات المفيدة والنبيلة التي قام بها المرخ مبارك الميلي في مجال الكتابة التاريخية هي الحفاظ على الروابط مع تاريخه الوطني وتوطيدها في شكل تاريخ عريق، غني بأجمل لحظات النضال، غني بحضارته وثقافته، غني أيضًا بالرجال العظماء الذين سطع نجمهم في زمن وجودهم والذين يجب أن يتألقوا دائمًا للأجيال القادمة، ورثة عملهم وروح التضحية لديهم.

عندما وطأت أقدام الجيش الفرنسي التراب الجزائري، أعاد معه أولئك الذين سيبررون الغزو من خلال كتاباتهم، وفي الوقت نفسه سيقدمون مقالات عن تاريخ المغرب العربي، محتواها يقترب من الإيديولوجيا، وكثيرا ما يكون مليئا بالكذب والازدراء، ناقلين روح الانحراف بين المكونات الاجتماعية والثقافية للشعب الجزائري الذي كرست وحدته بالفعل التعايش منذ قرون. الميلي، الذي يدرك خطورة إزالة التراث الثقافي، سيستخدم قلمه لدحض الأطروحات التي وضعها المؤلفون الفرنسيون[2].

[1] Amar Belkhodja, Cheikh Moubarak El Mili (1898-1945), l'historien, le journaliste, le pédagogue, le, patriote , 09/02/2018,

[2] فريدة مقلاتي، مبارك بن محمد الميلي ومنهجه في رسالة الشرك ومظاهره، مجلة الذاكرة، المجلد9، العدد2، 2021، ص30.

من بين المثقفين الجزائريين، المدافعين عن الشخصية الجزائرية، ونشطاء الثقافة الوطنية، نذكر علي الحمامي، وأحمد توفيق المدني، ومحمد شريف ساحلي، ومصطفى لشرف... وإذا كان الحمامي يقول لنا إن "التاريخ للشعب كالروح للجسد"، فإن الميلي يؤكد بدوره: "التاريخ مرآة الماضي ومقياس الحاضر. إنه دليل وجود الشعوب، وكتاب قوتها، ومبعث ضميرها، وصوت وحدتها، ومنطلق تقدمها"

عندما يدرس أبناء أمة تاريخهم، وعندما يصبح الشباب على دراية بدوراته، فإنهم يعرفون حقيقتهم، وحينها لا تمتص الجنسيات الحية والنهمة في الجوار جنسياتها الخاصة. إنهم يدركون مجد ماضيهم ونبل أجدادهم ولا يقبلون استخفاف المنتقصين، ولا هجمات المزورين، ولا افتراء المتحيزين. ينشر الميلي تاريخ الجزائر، الماضي والحاضر في مجلدين. الأول في عام 1923، عندما كان يدرس في الأغواط والثاني في الميلية عام 1932. سيهدي الوطني العظيم الميلي كتابه إلى الشعب الجزائري، إلى شبابه المفكر وإلى رجاله الذين يناضلون بإخلاص[1].

ولم يكتف بمكتبة اللغة العربية التي كانت بمثابة المادة الأساسية لكتابة أعماله، بل كان يستخدم أيضاً مكتبة اللغة الفرنسية. ولتحقيق ذلك، يساعده أصدقاؤه الذين يتحدثون الفرنسية. وسيكون أحمد توفيق المدني من بين مترجمي الميلي. إن المجلدين من كتاب "تاريخ الجزائر" لمبارك الميلي سوف يسافران بعيداً وسوف يقرؤهما ويقدرهما بشكل كبير الشخصيات الجزائرية والعربية التي عاشت وناضلت في المنفى.

فالشيخ أرسلان، على سبيل المثال، يستوعب بسهولة محتوى أعمال الميلي ويثني عليه لجهوده في البحث والكشف، وقبل كل شيء، إزالة الغموض عن كل الأفكار التي طورها المستعمر الفرنسي ضد الشعب الجزائري، وتشويه تاريخه ودينه وثقافته. قال علي الحمامي،

[1] مراد قبال، كتابة تاريخ الجزائر عند مبارك الميلي شيخ المؤرخين الجزائريين، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، المجلد1، العدد2، 2020، ص6.

الذي قرأ أيضًا أعمال الميلي التي نشرها له المؤلف بنفسه: "لقد ترجم الميلي أعمالًا أوروبية عن شمال إفريقيا قبل أن يبدأ عمله. هذا لم يمنعه من التعبير عن آراء حول عراقة المغرب العربي تُشيد بذكائه ووطنيته"

لقد أشاد هذا الرجل المتدين للغاية، هذا العربي من أصل هلالي لا يمكن إنكاره، بانتصارات حنبعل، ومدح شجاعة يوغرطة، وأدان خيانة بوميلكار، واستحضر بحنين مؤثر أمجاد عصور ما قبل الإسلام التي تلاشت الآن، ونجح في إثبات أنه من السهل الجمع بين الماضي والحاضر في تكافل بين الأفكار والمشاعر القادرة على ضمان أكيد الضمانات للمستقبل. كان بن باديس والميلي، البربري والعربي، جزائريين كاملين، شعروا وفكروا وتصرفوا كأبناء بلد تحمل أخمص أقدامهم غبار تراب أرضهم[1].

وسوف يقدم المؤرخ أحمد توفيق المدني في جريدة "البصائر" تحليلاً مفصلاً لمحتوى عمل الميلي، والذي سيلخصه بلقاسم سعد الله بدوره على النحو التالي: "أكد الميلي في عمله على الإصلاحية والقومية... وأكد الميلي أن التاريخ هو نفسه القومية: فعندما يدرس مواطنو أمة ما تاريخهم، كما كتب، فإنهم يتصلون بواقعهم الخاص، وبالتالي بقوميتهم الحية". لقد كان هدفنا هو الحديث عن سيرة الشيخ مبارك الميلي، لذلك لن نتوقف عند أعماله التي تتناول تاريخ الجزائر[2].

ولتحقيق هذه الغاية، قمنا باقتباس بعض المقتطفات المختصرة من مؤلفين جزائريين. ومن المفيد أن نستنتج أن عمل الميلي يرتكز على عنصرين أساسيين. ومن ناحية أخرى يسعى الكاتب الجزائري إلى إعادة الحقيقة. وكان اهتمامه منصبا على الرد على بعض المؤلفين الفرنسيين الذين قاموا بتحريف الحقائق عن عمد. ومن ناحية أخرى، يتوجه عمل الميلي إلى الشعب الجزائري، ويشجعه على إيقاظ وعيه الوطني. سيكون للشيخ مبارك الميلي

[1] مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، ص156.

[2] أبو القاسم سعد الله، رسالتان من أحمد توفيق المدني، المصادر، العدد19، ص243-260.

شرف تقديم عمل عن تاريخ الجزائر في وقت كان المستعمر الفرنسي يستعد فيه للاحتفال بالذكرى المئوية للاحتلال بعد أن زور التاريخ الوطني[1].

احتفال حاول من خلاله مرة أخرى أن يجعل الناس يعتقدون أن "التقدم والحضارة" جاءت مع المارشال بورمونت، في حين أن الواقع كان مختلفا تماما. بعد مائة عام من الهيمنة الفرنسية، كان الشعب الجزائري يغرق في المرض والجهل والفقر. ولكن ملاحظة أخرى، لقد كان ذلك أيضًا وقت صعود القومية الجزائرية، التي زرع بذورها الأولى الأمير خالد قبل نفيه تحت ضغط الاستعمار الثقيل. مبارك الميلي رجل الفعل والقلم والفكر، سيكون له دور مشرف في النهضة الوطنية، وفي محاربة الظلامية، حيث سيعمل على النهوض بالمدرسة الجزائرية وإعادة تأهيل اللغة العربية[2].

كل من عرف الميلي احتفظ بصورته كرجل فاضل ذو ذكاء نادر، وذاكرة رجل ودود ومتواضع، ومدافع متحمس عن الفضائل الإسلامية العليا والوحدة الوطنية. ستفقد الجزائر وشعبها قريبا رجلا قيما استطاع أن يعطي المزيد من طاقته المتجددة باستمرار ومعرفته التي زادت باستمرار. القدر سيقرر خلاف ذلك. مرض خطير سيحرمنا إلى الأبد من الشيخ الميلي في 9 فبراير 1945. بعد ثلاثة أشهر من اختفاء ابن الجزائر البار، سيضرب القدر الشعب الجزائري بقوة.

لقد عانى من الإبادة الجماعية والمجازر والفظائع والأهوال خلال الأيام الدموية من شهر مايو/أيار عام 1945. ولن يخيب أمل أولئك الذين ساهموا في ولادة القومية وإيقاظ الوعي الوطني. إن انفجار نوفمبر 1954 سيحرر شعبه من قيود القمع. إن أفضل تكريم يمكن أن نقدمه لهم هو الارتقاء بالأمة الجزائرية إلى كرامتها الحقيقية وإلى مصاف الشعب

[1] علاوة عمارة، المرجع السابق، 100.

[2] المرجع نفسه، ص101.

المزدهر والموحد والفاضل، والاستفادة من التراث التاريخي الذي أثرته أفعالهم وكتاباتهم وتضحياتهم.

وفي الجزائر، كما هو الحال في بقية العالم الاستعماري، نشهد من النصف الأول ومنتصف القرن العشرين القرن إلى عملية مستوحاة إلى حد كبير من النموذج الأوروبي السابق، حيث أن الرواية وتظهر المظاهر الأولى للتأريخ الحديث بشكل وثيق مرتبط بظهور الحركة الوطنية ومن ثم الدولة الوطنية في الواقع، كلاهما مشبعان في البداية بالبحث عن الذاكرة الجماعية التي ستتأرجح، من مرحلتها الشفهية، بين النخبة المثقفة على الأقل إلى مرحلة تتيح مساحة أكبر للكتابة[1].

[1] زاوي أحمد، مياد رشيد، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين الشيخ مبارك الميلي أنموذجا، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، المجلد7، العدد1، 2022، ص67-68.

خاتمة

خاتمة:

وبعد الدراسة والتحليل لمختلف جوانب الموضوع توصلنا إلى بعض النتائج، التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

_البحر الأبيض المتوسط يكتسب أهمية إستراتيجية فامتداده الكبير جعله يستحوذ على أهم الجزر منها مالطة وقبرص التي جعلته مركزًا لصراعات متكررة بين القوى الإقليمية من أجل السيطرة عليها، ويعتبر الشمال الإفريقي من أبرز المحطات لرسوا السفن ما جعله محل أطماع الإسبان.

_ ظهور قوتين بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط أواخر القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر تمثلت في ظهور إسبانيا كقوة موحدة بعد اندماج قشتالة وأراغون، وسقوط الأندلس سنة 1492 وإنهاء الوجود الإسلامي بالأندلس ما دفع بها لاحتلال بلاد المغرب عموما والجزائر خصوصا وما ساعدها في ذلك حالة التفكك والتطاحن بها، وقوة الدولة العثمانية التي شكلت تهديدا كبيراً في شرق أوروبا والحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط.

_كلا القوتين الدولة العثمانية والإسبانية اتخذوا من الدين دفاعا شرعياًوالمتحكم في علاقتهما، فالإسبان متعصبون ضد المسلمين في استرجاعهم للأندلس والمضي قدما لاحتلال الجزائر، والجزائريون اتخذوا من الدين كأساس للدفاع عن أرضهم ومساعدة الأندلسيين من اضطهاد الإسبان.

_أن العلاقات الجزائرية الإسبانية تتميز بالصراع الدائم، ذلك أن الجزائر حاولت توقيف المشروع الإسباني الرامي لبسط نفوذها في الشمال الإفريقي.

_ أن البحرية الجزائرية بعد الانضمام للدولة العثمانية زادت قوتها واكتسبت هيبة عالمية وصارت القوة التي يحسب لها ألف حساب، وتولى قادة أكفاء لقيادة الأسطول الجزائري

يمتازون بالحزم والشجاعة، لا يهابون أعالي البحار ومختلفون في أصولهم فمنهم مسلمون ومسيحيون اعتنقوا الإسلام وتم تسميتهم بالأعلاج، و قد شكلوا ما عُرف بطائفة رياس البحر التي أشرفت على تنظيم الأسطول الجزائري، وقد خاضت البحرية معارك كبيرة ضد التحالفات الأوروبية وحققت انتصارات بارزة باستثناء معركة ليبانت التي شكّلت نكسة مؤقتةإلا أنها كانت بداية لبناء أعظم أسطول أعطى هيبة للدولة الجزائرية .

_الإخوة بربروس أخذوا على عاتقهم التصدي للهجمات الإسبانية ومحاولة نقلها إلى أراضيهم والبحارة المسلمون بدافع الغيرة على الدين ساهموا بفعالية في إنقاذ مسلمي الأندلس.

_قوة الإسبان أدت إلى خضوع بعض القبائل وحتى الحكام من خلال توقيع معاهدات الولاء.

_ إن التاريخ الجزائري زاخر بمؤرخين وطنيين أمثال مبارك الميلي واحد من العظماء الذين نفتخر بهم له تأثير كبير في التاريخ الجزائري رغم ظروفه الاجتماعية الصعبة، إلا انه أفنى عمره في العلم والتعليم فقد كان مصلحا وعاظ، أسس جمعيات خيرية مثل جمعية العلماء المسلمين وترك بصمات خالدة في التاريخ الجزائري.

– يعتبر مبارك الميلي موسعة تاريخية لها أثر في الكتابة التاريخية وهو مؤلف كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ويبين فيه أمجاد وبطولات الشعب الجزائري لتعزيز الحِسِّ الوطني والافتخار والاعتزاز به، واعتمد في كتابته التاريخية لتسجيل مآثر الشعب الجزائري على الأسلوب السهل والمنهج الحديث المبني على أسس وتوجهات سياسية لتفنيد إدعاءات الفرنسيين المشوِّهين لتاريخ الجزائر.

– رغم التضييق الفرنسي الذي مورِس على رجال الإصلاح ومن بينهم مبارك الميلي إلاّ أنّه استطاع أن يلق صوته للعالم من خلال كتاباته خاصة كتاب تاريخ الجزائر الذي ألمَّ بتاريخ الجزائر ونخُصّ بالذكر فترة الاعتداءات الإسبانية بالجزائر وانضمامها للإمبراطورية العثمانية، الذي صوّر فيه قوّة ووحشية الدولة الإسبانية الموَّحدة كما أبرَزَ قوّة المقاومة الجزائرية في التصدي لها.

– وما زادها هيبة انضمامها للخلافة العثمانية بدافع الوِزاع الديني، فأصبحت الجزائر تحمي المُضطهدين بالأندلس بعد سقوط غرناطة وصارت لها أعظم قوّة بحرية.

– ومبارك الميلي كان بمثابة المدرسة التي تُلقّن الوطنيّةَ خِدمة للوطن والعروبة في زمن طغى فيه الجهل والإبادة الجماعية التي سلّطتها فرنسا على الجزائريين خاصة الإبادة الحضارية وإيجاد فرصة لطمس معالم الوطنية، فكان الرادِع لهم.

ومن أجل أن يكون بحثنا هذا من البدايات الهامة في سلسلة البحوث الأكاديمية التي تتناول أعمال المؤرخ الجزائري مبارك الميلي، فإننا نوصي بما يلي:

– زيادة الدراسات حول موضوع الاحتلال الاسباني للجزائر لما له من أهمية مستقبلية

– زيادة الدراسات حول السيرة الذاتية للمؤرخ مبارك الميلي وأعماله العلمية لما لها من أهمية كبيرة في دحض الروايات التاريخية الاستعمارية، وتدعيم الهوية الوطنية الجزائرية.

– يجب أن لا يقتصر التطرق لأعمال مبارك الميلي من الناحية التاريخية فحسب، بل ينبغي تسليط الضوء على جوانب أخرى في أعماله اجتماعية وثقافية وغيرها.

الملاحق

الملحق رقم 01:امتداد الدولة العثمانية والإمراطورية الإسبانية أوائل القرن السادس عشر[1]

[1]أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دار البحث،ص

الملحق رقم 02:صورة للملكة إزابيلا ملكة قشتالة وزوجها الملك فرديناردملك مملكة الأراغون والملك شارلكان ملك إسبانيا[1]

صورة خيالية لإيزابيلا ملكة قشتيليا

60

فرديناند الثاني ملك الأراغون المسمى بفرديناند الكاثوليكي

زوج الملكة ايزابيلا ملكة قشتيليا

شرلكان ملك إسبانيا

[1]عزيز سامح إلتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر محمود علي عامر،دار النهضة العربية ،ص 59_60

الملحق رقم 03: خريطة مناطق النفوذ المسيحي التي استولى عليها المسلمون وصورة لخير الدين بربروس[1]

خير الدين باشا «بربروس»
بطل المغرب الاسلامي في الحروب الصليبية

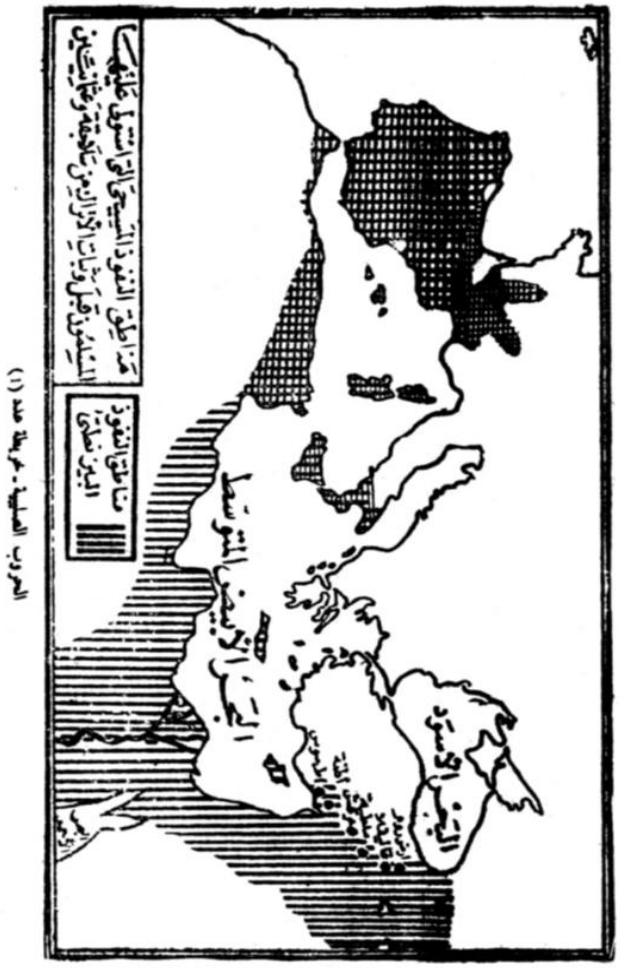

الحروب الصليبية - خريطة عدد (١)

[1]محمد لعروسي المطوي،الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي،ط‌ج،ص 21_22

الملحق رقم 04:صورتين لمرسى الجزائر [1]

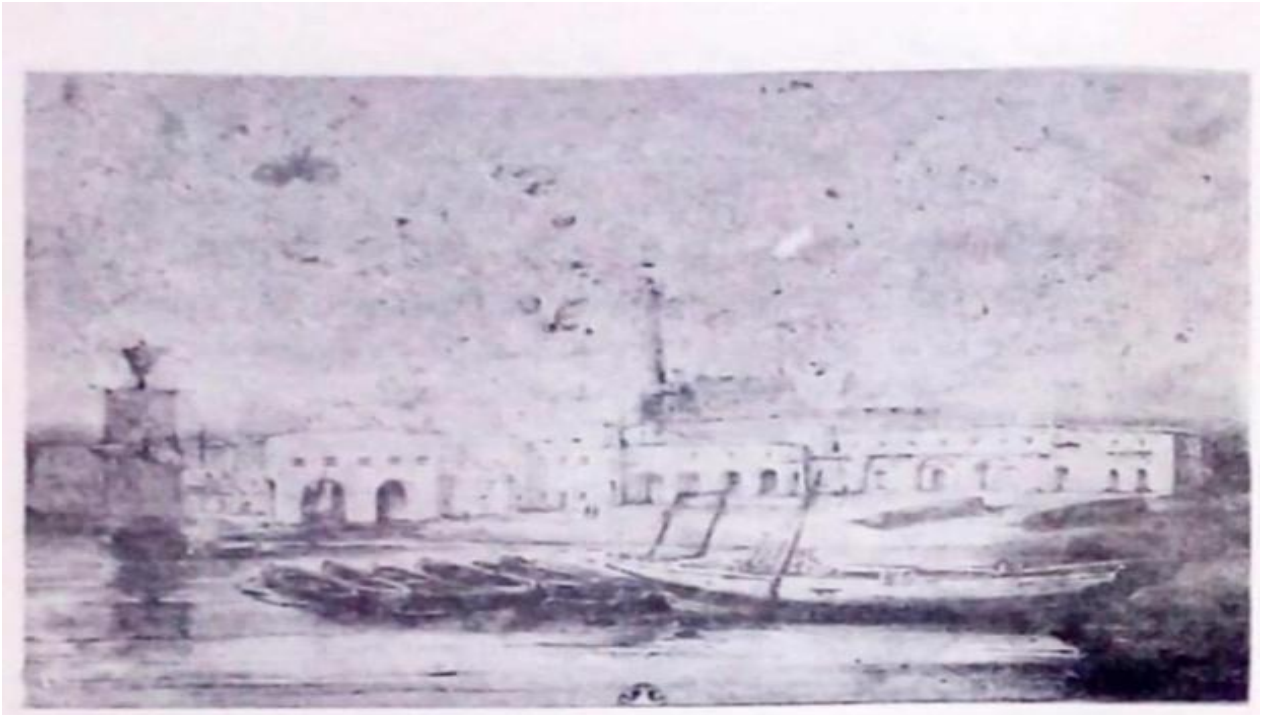

مرسى الجزائر مع السخرة

مرسى الجزائر

[1]عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيون إلى الجزائر،المرجع السابق،ص67

الملحق رقم 05: صورة لبرج اسباني بوهران[1]

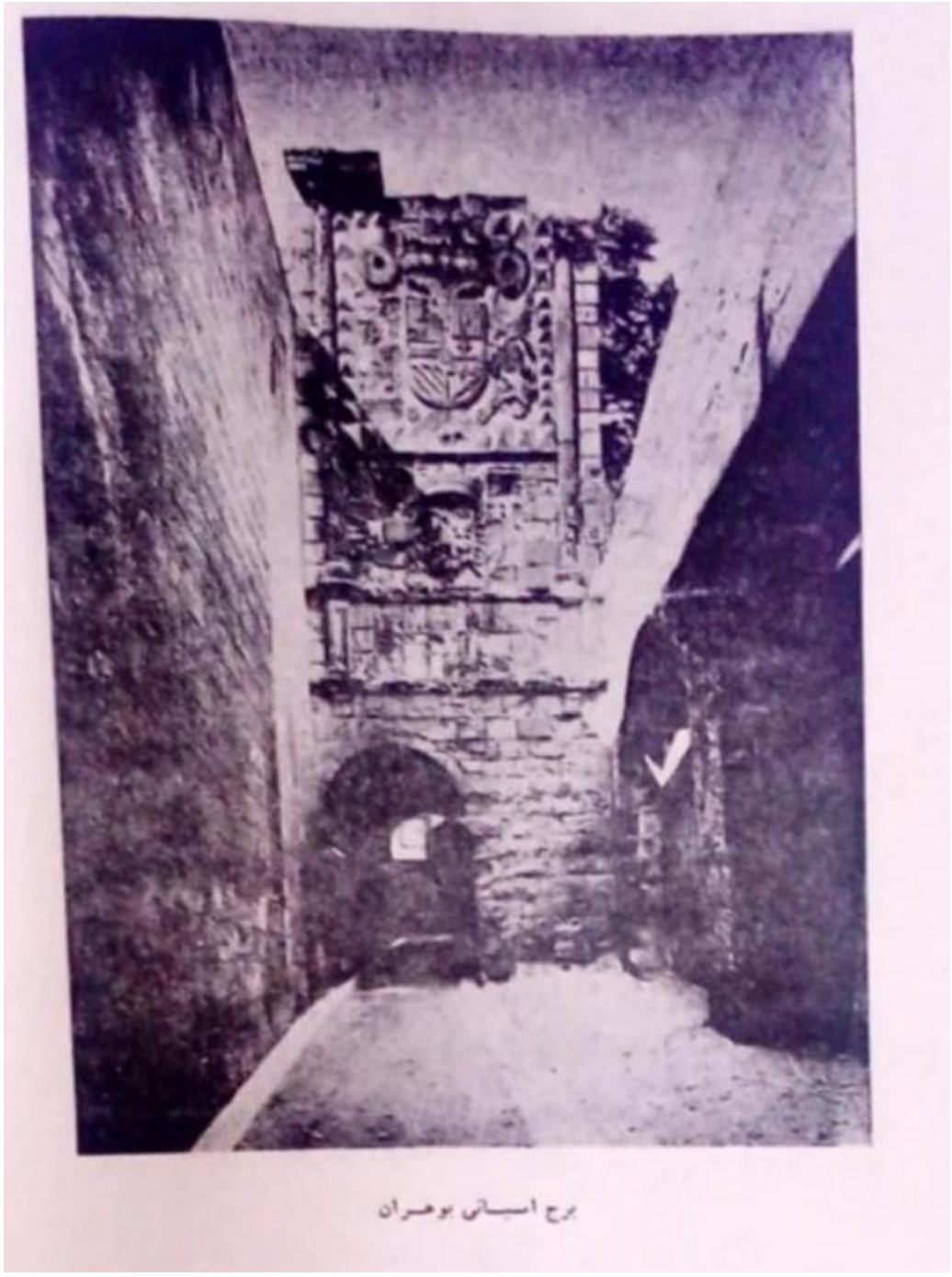

برج اسباني بوهران

[1]عبد الحميد بن أشنهو،المرجع السابق ،ص26

الملحق 06: صورة عروج[1]

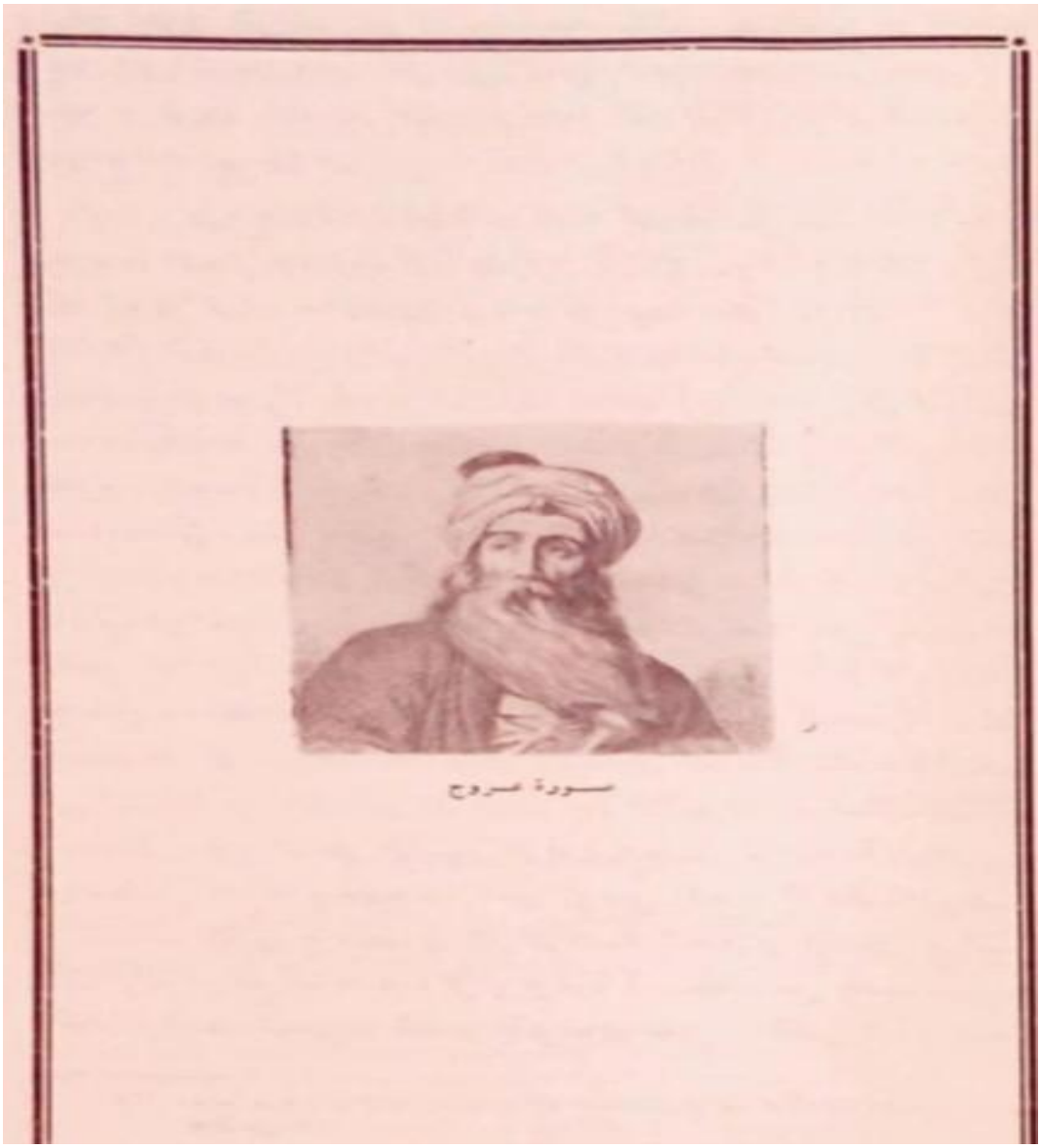

[1] عبد الحميد بن أشنهو، المرجع السابق،ص57

الملحق رقم 07: صورة الشيخ العلامة مبارك الميلي

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

المقاومة الشعبية الجزائرية ضد التوسع الاسباني خلال القرن 16 استنادا إلى أعمال مبارك الميلي

إعداد الطلبة:

1- طيبي سلوى رقم التسجيل: 201657853

القسم: التاريخ **الشعبة:** التاريخ التخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إشراف: د. النذير قوادرية **الرتبة:** أستاذ التعليم العالي

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2024-2025 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة): **رئيس فريق الاختصاص**

رئيس القسم

Web site : http://virtuelcampus.univ-msila.dz/facshs/ الموقع الالكتروني:
Face book : https://www.facebook.com/FshsUinvMsila/ الفايسبوك:
Tél / Fax : +213 35 35 3044 هاتف/ فاكس:

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم : /2025

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي (ة) أدناه:

السيد (ة): طيبي سلوى

الصفة (طالب، أستاذ باحث، باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 201657853

الصادرة بتاريخ: 2027/07/07 دائرة: مقرة

المسجل(ة): بكلية : العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: إرشاد وتوجيه تحت رقم التسجيل: 202424034084785

والمكلف بإنجاز أعمال بحث (مذكرة ماستر).

عنوانها: المقاومة الشعبية الجزائرية ضد التوسع الاسباني خلال القرن 16 استنادا إلى أعمال مبارك الميلي

أصرح بشرفي بأنني ألتزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

المسيلة : في:2025/06/09

إمضاء المعني(ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم:933 المؤرخ في 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها

قائمة المصادر والمراجع:

أ /<u>المصادر:</u>

1) أبو راس الناصر محمد بن أحمد، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق: محمد غانم، ج1، د.ط، د.ن، د.ت

2) بربروس خير الدين، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

3) البكري أبو عبيدة، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

4) بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان وأخبار تونس في عهد الأمان، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، ط02، ج02، تونس، د ت.

5) بن عثمان خوجة حمدان، المرآة، تق تع محمد العربي زبيري،منشورات(ANEp) الجزائر،2005.

6) بن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

7) بن يوسف محمد الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق: المهدي بوعبدلي، الجزائر، د.ت.

8) الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج3، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

9) الزهار أحمد شريف، نقيب أشراف الجزائر، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971..

10) المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، مج4، دار صادر، بيروت، 1988.

11) الميلي محمد مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تحقيق: محمد الميلي، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت..

12) الميلي محمد مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د.ت.

13) مجهول، سيرة المجاهد خير الدين في الجزائر، تحقيق: عبد الإله حمادي، د.ن، د.ت.

ب / <u>المراجع بالعربية:</u>

14) ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، تق تح تع هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، ط01، لقاهرة،2001.

15) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، الجزء ،01دار المعرفة للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر،2009،.

16) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500_1830، دار الغرب الإسلامي، ط01، ج01.

17) أعمال الملتقى الدولي، الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مختبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط إلى نهاية العهد العثماني،الجزائر،2009،

18) ألتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية،تر محمود علي عامر، دار النهضة العربية.

19) أندري جوليان شارل ، تاريخ إفريقيا الشمالية، تع محمد مزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط 02، ج 02، 1983.

20) الباروني عمر محمد،الإسبان وفرسان القديسين يوحنا في طرابلس، 2011، مصر،

21) بالحميسي مولاي، مجلة الأصالة، نهاية دولة بني زيان، ، ع26 ،1975،جامعة الجزائر،الجزائر.

22) برومان كارل،تاريخ الشعوب الإسلامية ،تر أمين فارس،منير البعبلكي، دار العلم للملايين،ط5، بيروت.

23) بشناوي عادل سعيد، الأمة الأندلسية الشهيدة،د ن د م د س.

24) بن زيان عبد الحميد بن أبي أشنهو،دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر.

25) بن عمر حمدادو ، تحرير مدينة وهران 1792م في كتابات المؤرخ غالم محمد، ندوة نقاشية وهران: مدينة المعرفة والتعايش، CRASC، 28 فيفري 2021.

26) بوحوش عمار،التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي،ط01، بيروت، 1997.

27) بوزريعي كمال، معركة بروزة 1538م والخلفية الفلسفية في تطوير البحرية العثمانية.

28) بوشرب أحمد ، وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه، دار الأمان شركة طوب للإستثمارت والخدمات ،ط01، الرباط،1997.

29) بوشنافي محمد، مساهمة عروج بن يعقوب في مواجهة الخطر الإسباني على المغرب الأوسط، مجلة عصور، ع 5/4، 2003_2004.

30) بوطبة لخضر، المجلة التاريخية الجزائرية، الصراع المسيحي الإسلامي في حوض البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر،الاحتلال الإسباني للمدن الساحلية أنموذجا، ع 04.

31) بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر_ الجزائر القديمة و الوسيطة والحديثة، ، ديوان المطبوعات الجامعية، ج01 الجزائر ،2009.

32) بوعزيز يحيى،علاقات الجزائر الخارجية مع الدول والممالك في أوروبا 1530، ديوان المطبوعات الجزائر 1980.

33) بوعزيزيحيى، مدن تاريخية وهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية، 1985

34) بوعزيز يحيى، مدينة وهران عبر التاريخ ويليها مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر،الجزائر، 2009

35) بيات فاضل: الدولة العثمانية في المجال العربي،دراسة تاريخية في الأوضاع والإدارة في ضوء المصادر العثمانية، مركز دراسات الوحدة العربية،ط1، بيروت،2007.

36) التميمي عبد الجليل، الدولة العثمانية وقضية المورسكيين الأندلسيين، مركز الدراسات و البحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1989م.

37) تنقدان بسام كامل عبد الرزاق، تلمسان في العهد الزياني،إشراف هشام أبو رميلة،2002.

38) توفيق أحمد المدني، حرب الثلاث مئة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1492_1792، ش و ن ت ، ط 02، الجزائر، 1976.

39) توفيق أحمد المدني، مجلة الأصالة،تلمسان بين الزيانيين والعثمانيون ، ع26 ،1975

40) جلال قدور، مجلة الباحث،جهود العالم عبد القادر المشرفي في الرد على القبائل المتعاملة مع الإسبان بوهران على ضوء مؤلفه بهجة الناظر، ع01،مج13.

41) الجميعي عبد المنعم،الدولة العثمانية والمغرب العربي، دارالفكر،ط 01، القاهرة،1988.

42) الجوهري يسرى، جغرافية البحر المتوسط، دار منشأة المعارف للنشر،الإسكندرية،1984

43) الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام،ج3، ديوان المطبوعات الجامعية،1994،ط2،

44) الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة،ج3،بيروت،1983.

45) حتاملة محمد عبدو، التنصير ألقصري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين،1474_1516،ط1،الجامعة الأردنية،عمان.

46) حساني مختار،تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية، منشورات الحضارة،ط01 ، ج 01،الجزائر 2009

47) دادة محمد:تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي العثمانيون والمغاربة في القرن ال16 ، مجلة عصور الجديدة،ع2، 2011،

48) دراج محمد، الدخول العثماني للجزائر ودور الإخوة بربروس1512_1543 ،ت ص ناصر الدين سعيدوني، شركة الأصالة للنشر والتوزيع،ط1، الجزائر ،2011.

49) الدغيم محمود السيد،أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية،الحضارة الإسلامية وعالم البحار،منشورات إتحاد المؤرخين العرب،القاهرة،1994.

50) دوبالي خديجة، مجلة القرطاس، الغزو الإسباني على السواحل الجزائرية،1505_1511،ع 06،2017.

51) ذا النون عبد الواحد طه، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، دار المدار الإسلامي،ط01، لبنان،2004.

52) رزق عاصم محمد، معجم المصطلحات للعمارة والفنون الإسلامية،مكتبة مدبولي.

53) رزوق محمد، الأندلسيين وهجراتهم إلى المغرب خلال القرن السادس عشر والسابع عشر إفريقيا شرق، الدار البيضاء، 1959

54) روسي أنوري، ليبيا منذ الفتح العثماني، تر خليفة التليسي، دار العربية للكتاب،1974

55) روسي إيتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911، تر خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب،ط01، 1974، ط02، 1991.

56) روسي إيتوري، ليبيا منذ الفتح العربي،1911،ترخليفة محمد التليي،مكتبة الإسكندرية،دار العربية للكتاب،ط1974،01،ط،1971.

57) ساحلي محمد الشريف، تخليص التاريخ من الاستعمار، تر، محمد هناد، منشورات الذكرى الأربعون للاستقلال، 1965.

58) سالم علي أحمد ،إستراتيجية الفتح العثماني، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،2012.

59) سعيدوني ناصر الدين والمهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني،ج4.

60) سعيدوني ناصر الدين،عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مكتبة الإسكندرية.

61) سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر،ط م 2، 2009.

62) سليماني أحمد،تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر 2007

63) سينسر وليم، الجزائر في عهد رياض البحر، تر تق عبد القادر زيادية، دار القصبة للنشر والتوزيع.

64) شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة،دمشق، سوريا، 1990.

65) شوفاليه كورني، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510_1541،تر جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية،2007.

66) شوقي عطاء الله الجمل، المغرب العربي الحديث، ليبيا تونس الجزائر المغرب،مكتبة لأنجلو المصرية،مصر، 1977.

67) شويتهام أزرقي،المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 1519.1830، دار الكتاب العربي، ط01،ج01، 2008، الجزائر.

68) الشيخ رأفت، التاريخ العربي الحديث،علم الدراسات للبحوث الإنسانية والاجتماعية،مصر، 1994.

69) شيمل أنا ماري، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، تر محمد إسماعيل،سيد رضا حامد قطب، منشورات الحبصل،1981.

70) صلابي علي محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار النشر والتوزيع الإسلامي،ط01، 2001

71) صلابي محمد علي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي تاريخ الجزائر ما قبل ح ع 2، دار المعرفة، بيروت.

72) صلابي محمد علي،كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي تاريخ الجزائر ما قبل ال ح ع 1،دار المعرفة،بيروت.

73) عباد صالح،الجزائر خلال الحكم التركي 1514_1830، دار هوما، 2012.

74) عبد الجليل التميمي،الخلفية الدينية للصراع الإسباني العثماني وقضية المورسكيين، مركز الدراسات و البحوث العثمانية التوثيق والمعلومات،زغوان ،1989.

75) عبد العزيز وسام، البوسنة والصرب وكرواتيا، قراءة في التاريخ الباكر، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط01، مصر،1993.

76) عبد القادر نور الدين،صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي،دار الحانة، الجزائر،2006،

77) العروسي أحمد المطوي:الحروب الصليبية في المشرق والمغرب،دار الغرب د م د ت،ط 02.

78) العسلي بسام ، خير الدين بربروس والجهاد في البحر،1470_1547، دار النفائس.

79) العقبي صلاح مؤيد، طرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، 2002.

80) عمر عمر عبد العزيز، التاريخ الأوروبي الأمريكي الحديث،دار المعرفة الجامعية 2000،ق 01 .

81) عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ الجزائر عامة، دار المعرفة،ج،1962.

82) عمورة عمار،الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال.

83) عمورة عمار، الموجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر،2001.

84) العنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس _ العصر الرابع _نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م.

85) العنان محمد عبد الله،نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين،ط 03.

86) فارس محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث من المفتاح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي.

87) فرحات يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر، دار الجيل، ط01، بيروت، لبنان، 1993.

88) فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين، دار العلوم ،عنابة، 2002،

89) فركوس صالح،تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم للنشر والتوزيع، د ط ، 2005.

90) فكاير عبد القادر: الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية،1505_1792.

91) فيشر هيربرت، أصول التاريخ الأوروبي من النهضة إلى الثورة الفرنسية، تر زينب عصمة راشد أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ط 03،دار المعارف، القاهرة2001

92) فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، موفر للنشر،ج2002،01، الجزائر.

93) قين محمد ومقيدش علجية،حملة شارلوكان على الجزائر ونتائجها 1541، مج 07، ع04، الجلفة،2022.

94) كربخال مربول: وصف إفريقيا، تر محمد حجي وآخرون، المعارف الجديدة ،ج1984،02.

95) كربخال مربول، إفريقيا، ،تر محمد الحجي و آخرون،دار المعرفة، ج 2 ،الرباط، 1989.

96) محمد بوطيبي، مجلة تاريخ العلوم، بواكير كتابة تاريخ الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين (كتابات أحمد توفيق المدني أنموذجا)، مجلد5، العدد3، 2020،

97) مروش المنور، القرصنة الأساطير و الواقع،ج02، دار القصبة للنشر والكتاب.

98) مريوش أحمد ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، جزء 01،مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2013.

99) المشرفي عبد القادر:بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تح تق محمد بن عبد الكريم منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت د ت ط.

100) مظهر على، محاكم التفتيش في اسبانيا و البرتغال وغيرها.وفيه آخر صفحة لتاريخ المسلمين بالفردوس الإسلامي المفقود، الأندلس، المكتبة العلمية، مصر،1947م .

101) معاشي جميلة، الأسر المحلية في بايلك الشرق الجزائري من القرن ال10هـ_16م إلى القرن13هـ_19م،ديوان المطبوعات الجامعية.

102) معوشي أمال: أمحد توفيق المدني حملة عن إسهاماته الثقافية ودوره الدبلوماسي في الثورة التحريرية، جملة البحوث التاريخية، المجلد 3 ،2019

103) نايت بلقاسم مولود قاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج01.

104) نورويس جون جوليوس،البحر الأبيض المتوسط تاريخ بحر ليس كمثله بحر،تر طلعت السايب، دار الهنداوي.

105) نيقولاي إيفانونون: الفتح العثماني للأقطار العربية1516_1574م،تر يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، 1988.

106) هلايلي حنيفي ، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني،ط1،دار الهدى، عين الميلية، الجزائر،2007.

107) هلايلي حنيفي، دراسات وأبحاث في التاريخ الأندلسي الموريكسي،دار الهدى، الجزائر، 2010.

108) وولف جون ، الجزائر و أوروبا1830_1500 ، تر تع أبو القاسم سعد الله ، دار المعرفة، ط خ ، الجزائر،2009.

109) وولف دون،الجزائر وأوروبا1500_1830، عالم المعرفة، دار الرائد،الجزائر،ط خ ،2009.

110) يحيى جلال، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية،1999 .

111) طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر وإسبانيا وفرنسا أواخر القرن التاسع عشر للآغابن عودة المزاري، تح ودراسة يحيى بوعزير، دار الغرب الإسلامي،ج 1، 1989

112) .محمد بن أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تق تح المخطوط من طرف محمد غانم، ج01.

113) فيرو شارل، تاريخ جيجلي، تر عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية، الجزائر، 2010.

د /الموسوعات والمعاجم:

114) الخطيب مصطفى عبد الكريم،معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة.

115) الخوند مسعود، الموسوعة الجغرافية، ج 01،اسبانيا .

هـ /المجلات والملتقيات:

116) بو عدبلي المهدي،أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، مجلة الأصالة، ع 8، الأصلي للشؤون الدينية ، الجزائر، 1972.

117) بوشليق ناصر، التنمية الدينية لمعركة ليبان التاريخية، مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية،مج07، ع2024،2

118) بوعزيز يحيى، مجلة دراسات،المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد، 1975،ع 26.

119) تشيشي نبيل وعبد الكمال عطية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية،الجزائريون من التحالف مع الإخوة بربروس لطرد الصليبيين إلى تشكيل نظام سياسي جديد مطلع القرن 16م، مج 13، ع02، 2022، الوادي، الجزائر

120) التميمي عبد الجليل، مجلة الأصالة،رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني 1541، ع16،وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر، 1975

121) جبار مختار، الحضور الصوتي في الجزائر في العهد العثماني، مجلة التراث العربي، اتحاد وكتاب العرب في سوريا ع57،1994

122) حكمتياسين، مجلة الأصالة، الغزو الإسباني في القرن السادس عشر أسبابه ومراحله ونتائجه، ع14 ،2011

123) حمد مؤيد محمود المشهداني، م م سلوان رشيد رمضان :أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518_1830،مجلة الدراسات التاريخية الحضارية ، مجلة علمية محكمة، م ج 15،ع 16، جامعة تكريت،2013

124) درعي فاطمة، مجلة حقول معرفية، القبائل المتعاونة مع الاحتلال الإسباني من خلال كتابات علماء معسكر،ع02 مج 02،، 2021.

125) رمضان أحمدأحمد،تاريخ في القتال البحري في البحر المتوسط العصر الوسيط(،35هـ_655هـ) (978_1571م)، وزارة الثقافة هيئة الآثار المصرية، القاهرة، 1986.

126) زير محمد مختار، مجلة الدراسات التاريخية، صالح رايس بطل الوحدة والجهاد 1556/1555م مج2،ع2020،4

127) العريبي أسمهان، المدن الساحلية ودورها في الصراع البحري الإسلامي المسيحي مدينة عنابة أنموذجا، مجلة العصور،ع21، الجزائر،2013

128) علي تاغليت، البحرية الجزائرية عبر التاريخ من القرن 14 إلى القرن 19، مجلة أفكار وآفاق،مج04، ع06، الجزائر،2015

129) عمارة علاوة، مجلة المواقف، الشيخ مبارك الميلي ومواجهة المشروع الفرنسي لكتابة تاريخ الجزائر، جامعة مصطفى اسطنبولي، معكسر، العدد ،03 ديسمبر ،2008.

130) فكاير عبد القادر، دور الأسطول الجزائري في معركةليبانتو1771، المركز الجامعي خميس مليانة، مجلة الموافق للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ،ع09، 2014

131) قبايلي هواري، علاقات الإسبان لقبائل وهران بين الولاء والبراء،المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية ، ع 5،مج 3، جوان 2017،جامعة محمد اسطنبولي الجزائر

132) متشاط عبد الغني، جهود جمعية العلماء الجزائريين في تدوين تاريخ الجزائر مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني أنموذجا، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، المجلد7، العدد2، 2022

133) مقلاتي فريدة، مبارك بن محمد الميلي ومنهجه في رسالة الشرك ومظاهره، مجلة الذاكرة، المجلد9، العدد2، 2021.

134) القدس العربي، الباحث الجزائري هواري تواتي: «الإنسان كمفهوم عربي» من إعادة الابتكار إلى الرِدة، حوار: فارس لونيس ترجمة: عائشة بلعابيد، 19 نوفمبر 2024.

135) الموساوي أحمد ، الأمير الامازيغي أبو حموا موسى الثاني، مجلة الأثر للآداب واللغات، رحلة السلطان(رحلة شعر)، ع 07، 2008، جامعة قاصدي مرباح ورقلة،الجزائر

و / <u>الرسائل الجامعية:</u>

136) جغلوة حدة، جهود الزوايا و الطرق الصوفية في تحريربايلك الغرب خلال عهد الدايات1671_1830، جامعة غرداية 2007

137) درقاوي منصور، الموروث الثقافي العثماني بين التأثير والتأثر بالجزائرمابين القرن 10_13 هجري 16_19 ميلادي مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة وهران، الجزائر،2014_2015

138) دكاني نجيب،الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن 10 هـ_16م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،2001

139) رضوان نبيل عبد الحي،جهود العثمانيون لإنقاذ الأندلس و استرداده في مطلع العصر الحديث، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية(1407 هـ/1987م) ،

140) شقدانبسام كامل عبد الرزاق، تلمسان في العهد الزياني، (233 _962هـ/ 1235_1555م)،مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين،2002

141) ضحى قرعاني وأمينة مطلق، التعليم في المغرب الإسلامي ودوره في ازدهار الحياة الثقافية في الدولة الزيانية خلال القرن ال14وال15 ميلادي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة غرداية ،2022.

142) طيبي مهدية، حملة شارلوكان على مدينة الجزائر 1541 وردود الفعل الجزائري، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة

143) كليل صالح، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني،مذكرة ماجستير، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة،2006

144) مسعودي زهرة، طرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م إلى القرن ال12، جامعة أدرار 2010

145) هاشمي بن إبراهيم، قبائل وهران والاحتلال الإسباني قراءة في مواقف التحالف و الولاء ،أطروحة دكتوراه، قسم العلوم الإنسانية ، جامعة مصطفى اسطنبولي ،الجزائر ،2001،

المراجع باللغة الفرنسية:

146) Amar Belkhodja, *Cheikh Moubarak El Mili (1898-1945), l'historien, le journaliste, le pédagogue, le patriote*, 09/02/2018.

147) BENCHENEB, Saadeddine, "Quelques historiens arabes modernes de l'Algérie", *Revue Africaine*, 1956.

148) Boulifa, *Le Djurdjura à travers l'histoire de puis l'antiquité jusqu'à 1830,* Ed. Djbringo, Alger, 1925.

149) Dictionnaire, *Encyclopédie des Noms propres de la langue Française*, Hachette, Paris, 1991.

150) Fernand Braudel, *La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe,* 2e éd., Armand Colin, Paris, 1982, T2.

151) Fernand Brandael, *La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II*, T3, Armand Colin, 5e éd., Paris, 1821.

152) James McDougal, "Soi-même comme un autre. Les histoires coloniales d'Ahmad Tawfîq al-Madanî (1899-1983)", *Revue des Mondes Musulmans,* 95-98, 2002.

153) Lucette Valensi, *Une histoire anthropologique de l'Islam méditerranéen*, Saint-Denis, Éditions Bouchène, 2002.

فهرس الموضوعات

مقدمة.....1

الفصل الأول: الإطار التاريخي والتوسع الإسباني في الجزائر 7

المبحث الأول : الوضع السياسي و العسكري في الجزائر قبل التوسع الإسباني: 9

المطلب01: حال المغرب الأوسط قبل القرن 16 م 9

المطلب 02: القوى المحلية وعلاقتها بالعثمانيين والأوروبيين 16

المطلب 03: أهمية السواحل الجزائرية في التنافس الأوروبي 21

المبحث الثاني: الحملات الإسبانية على الجزائر و أهدافها 26

المطلب01: الحملات الإسبانية وسقوط الموانئ الجزائرية 26

المطلب02: دور القوى الأوروبية في دعم التوسع الإسباني 30

المطلب03: إستراتيجية الاحتلال الإسباني و تأثيرها على السكان 35

الفصل الثاني: المقاومة الشعبية الجزائرية ضد الإسبان 42

المبحث الأول: أشكال المقاومة الشعبية 44

المطلب01: المقاومة المسلحة1505_1518 44

المطلب02: المقاومة والتحالفات الدولية.....50

المطلب 03: دور الزوايا والعلماء في دعم المقاومة.....57

المبحث الثاني: دور القادة المحليين والبحَّارة العثمانيين في المقاومة:.....63

المطلب01: دور الإخوة بربروس في تحرير الجزائر 63

المطلب02: تفاعل السكان المحليين مع الوجود العثماني ودورهم في المقاومة.....67

المطلب 03: تأثير انضمام الجزائر للدولة العثمانية على استمرار المقامة ضد الإسبان.....71

الفصل الثالث: قراءة في رؤية مبارك الميلي للمقاومة الشعبية الجزائرية ضد الإسبان القرن 16 ... 76

المبحث الاول: تحليل منهج مبارك الميلي في دراسته للمقاومة. 77

مدخل تمهيدي نبذة عن حياته ومسيرته..... 77

المطلب1: منهجيته في الكتابة التاريخية..... 81

المطلب2: مصادره التاريخية وتحليله للأحداث..... 86

المطلب3: مدى موضوعيته في دراسة المقاومة..... 89

المبحث الثاني: تقييم طرح مبارك الميلي مقارنة بمؤرخين آخرين..... 91

المطلب1: مقارنته بمعاصريه أحمد توفيق المدني أنموذجا..... 91

المطلب2: أثر كتاباته في تشكيل الوعي السياسي التاريخي الجزائري. 94

المطلب3: مدى تأثير روايته في الخطاب التاريخي 97

خاتمة:..... 103

الملاحق..... 107

قائمة المصادر والمراجع:..... 117

ملخص الدراسة:..... 134

ملخص الدراسة:

تتناول هذه المذكرة موضوع المقاومة الشعبية ضد التوسع الإسباني خلال القرن السادس عشر الميلادي، وذلك من خلال تحليل أعمال مبارك الميلي خاصة في كتابه تاريخ الجزائر القديم والحديث الذي يُعد مرجعا وطنيا هاما في توثيق التاريخ الجزائري، وتُبرز الدراسة كيف ساهمت المقاومة الشعبية في إحباط التوسع الإسباني من خلال المواجهات المسلحة والتحالفات المحلية والدولية وتسليط الضوء على أهمية الوعي القومي للدفاع عن الأرض والعقيدة، وتهدف الدراسة إلى إبراز دور المقاومة في التصدِّي للاحتلال الإسباني وتبيان رؤية مبارك الميلي لمقاومة الاحتلال وكذا القيمة العلمية والتاريخية لمؤلفات مبارك الميلي.

تضمنت إشكالية تمثلت في: كيف صور مبارك الميلي في أعماله مختلف أشكال المقاومة الشعبية الجزائرية ضد التوسع الإسباني خلال القرن السادس عشر، وما مدى نجاعة هذه المقاومة في التصدي للمشروع الاستعماري الإسباني؟

ومن أهم النتائج المتوصل إليها:

– سعت إسبانيا بعد سقوط الأندلس إلى احتلال الجزائر بدوافع دينية، مستغلة ضعف المنطقة، لكنها واجهت مقاومة شرسة، ورغم الضغوط والانتصارات التي حققتها، فقد تصدى لها بقوة وفعالية الأسطول الجزائري المدعوم من الدولة العثمانية.

– يعتبر مبارك الميلي من أبرز المؤرخين الجزائريين، فقد وثق الاحتلال الإسباني للجزائر، مبرزا وحشيته وقوة المقاومة الجزائرية في مواجهته، معتمدا أسلوبا علميا حديثا لتفنيد الدعاية الاستعمارية الفرنسية، رغم ما عاناه من تضييق وظروف اجتماعية صعبة، حيث ساهمت كتاباته في تقوية الوعي الوطني وفضح محاولات طمس الهوية الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: الجزائر– الاحتلال الاسباني– المقاومة الشعبية– مبارك الميلي.

Résumé:

Ce mémoire aborde la question de la résistance populaire contre l'expansion espagnole au cours du XVIe siècle, en analysant les travaux de Moubarak Al-Mili, notamment dans son livre L'histoire ancienne et moderne de l'Algérie, qui est considérée comme une référence nationale importante dans la documentation de l'histoire algérienne. L'étude met en évidence comment la résistance populaire a contribué à contrecarrer l'expansion espagnole par des confrontations armées, des alliances locales et internationales, et en soulignant l'importance de la conscience nationale pour défendre la terre et la foi L'étude vise à mettre en évidence le rôle de la résistance dans la lutte contre l'occupation espagnole et à clarifier la vision de Mubarak Al-Mili de résister à l'occupation, ainsi que la valeur scientifique et historique des œuvres de Mubarak Al-Mili.

Il comportait une problèmatique: comment Mubarak Al-Mili décrivait-il dans ses œuvres les différentes formes de résistance populaire algérienne contre l'expansion espagnole au cours du XVIe siècle, et quelle était l'efficacité de cette résistance face au projet colonial espagnol ?

Parmi les résultats les plus importants obtenus :

Après la chute d'Al-Andalus, l'Espagne a cherché à occuper l'Algérie pour des motifs religieux, profitant de la faiblesse de la région, mais elle a fait face à une résistance farouche et malgré les pressions et les victoires qu'elle a obtenues, il est confronté à la force et à l'efficacité de la flotte algérienne soutenue par l'Empire ottoman.

Moubarak Al-Mili est considéré comme l'un des plus éminents historiens algériens. Il a documenté l'occupation espagnole de l'Algérie, en soulignant sa brutalité et la force de la résistance algérienne pour y faire face, adoptant une méthode scientifique moderne pour réfuter la propagande coloniale française, malgré les restrictions et les conditions sociales difficiles qu'il a subies, comme ses écrits ont contribué à renforcer la conscience nationale et à dénoncer les tentatives d'effacement de l'identité algérienne.

Mots-clés : Algérie - occupation espagnole - résistance populaire - Moubarak Al-Mili**.**